سنة الله في اليهود

تأليف الدكتور
أبو اليُسْر رشيد كُهُوس
أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان
جامعة القرويين

الطبعة الأولى

1434 هـ/ 2013 م

دار الحكمة
طباعة - نشر - توزيع

جمهورية مصر العربية – القاهرة
زهراء مدينة نصر – المرحلة الثانية
ص.ب: 10 – الرمز البريدي: 11528
تليفون: 24106748 – 01000135406
www.darelhekma.net
hassanelsherif@darelhekma.net

رقم الإيداع	2012/10786
الترقيم الدولي	978-977-5077-33-2

إهداء

إلى روح والدي الكريم رحمه الله
وأسكنه فسيح الجنان ورزق له جوار
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
النبي العدنان في أعلى الجنان

من هدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾

(المائدة: 82)

صدق الله العظيم

قبس من السنة النبوية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ > أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليهودي مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ. فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِي خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ]

(رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما)

دعاء

اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، والمستغيث المستجير الوَجِلُ المشفق، المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين وأَبْتَهِلُ إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضَّرِير، من خضعت لك رقبته، وذَلَّ جسمه، ورغِمَ أَنْفه، اللهم لا تجعلني بدعائك ربِّ شقيا، وكن بي رءوفا رحيما، يا خير المسئولين، ويا خير المعطين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

تقديم

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين خالق الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد الذي هو أفضل الخلق وأكمله بل هو شجرة الكائنات، وحقيقة حقائق المكنونات، وعلى آله وأصحابه الذين هم هداية طريق الدين وقدوة أصحاب اليقين، خصوصا منهم الخلفاء الراشدون المهديون، رضي الله تعالى عنهم وعن كافة المسلمين أجمعين.

وبعد،

فإن قضية صراع اليهود مع أمة الإسلام من أهم القضايا التي تشغل بال العالم كله، في الوقت الذي فشلت فيه كل محاولات الصلح والسلام في الأراضي الفلسطينية، واستمرار فساد اليهود في الأراضي المقدسة، وعلوهم في الأرض، وتحكمهم في دواليب الإعلام والاقتصاد والسياسة الدولية.

وإن السبب الرئيس للحيرة التي أصابت الناس جراء استمرار الفساد اليهودي في أبشع صوره راجع إلى عدم تفقه الناس في السنن الإلهية في صراعنا مع اليهود... فأصبح العرب يركضون وراء سراب المعاهدات الفاشلة والشعارات الزائفة، لا يتحركون خطوة إلى الأمام، يتخبطون خبط عشواء، الجرح ينزف، والأراضي تغتصب، والنساء ترمل، والأطفال ييتمون، والأحرار وراء قضبان السجون... أي حل إذن لهذه المعضلة الكبيرة.

إن حكمة الله تعالى اقتضت أن يكون الحق والباطل في تدافع دائم، وصراع مستمر، إلى يوم القيامة، ليميز الله الخبيث من الطيب ويحق الحق بكلمته ولو كره الكافرون.

وإن صراع اليهود مع الإسلام قديم قدم الرسالة السماوية، وزاد ضراوة وحنقا وعداوة بالبعثة المحمدية وشروق شمس الهداية الأحمدية، وسيبقى هذا الصراع إلى قيام الساعة، ولن يزول بالمعاهدات ولا بالاتفاقيات ولا بالشعارات...

إن اليهود الصهاينة هددوا أمتنا الإسلامية على مر العصور، كانوا وما زالوا جرثومة الفساد ومناط الفتن والحروب، ومعدن الشر والخبث والغرور..

وهذا يتطلب منا معرفة سنن الله فيهم حتى تتضح الرؤية وينكشف اللبس، وتكون الأمة المسلمة على بينة من أمرها في تعاملها مع هذا الغرس الفاسد..

فوضوح صفاتهم ومخاطرهم وحسدهم وتعاليهم وخبث طويتهم وتفقه سنة الله فيهم، كفيل بأن يؤدي بالأمة بمشيئة الله إلى الحيطة والحذر وبحث السبل الواقية من شر هذه الفئة الخطيرة الشريرة من البشر.

وهذا ما سيتم بيانه في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وكتبه أبو اليسر رشيد كهوس بفرخانة- المغرب- زوال يوم الاثنين 23 جمادى الآخرة 1433هـ- وفق 14 مايو (أيار) 2012م.

مقدمة

إن القراءة القرآنية السننية للتاريخ كفيلة بأن تمكننا من معرفة الأحداث وأسبابها، ولا نعني بهذا التحليق في سماء الأحلام أو الاضطجاع في مضجع الجبرية الوثير، لأن الاحتماء بالقدر والفرار من التدافع يؤدي إلى الكارثة، وتصبح الأمة بذلك منبوذة خارج التاريخ.

بذلك المنظار القرآني السنني - لا المادي الجدلي الغافل عن سنن الله في الحياة-، نقرأ سنة الله في اليهود، حتى ندرك أن شدة عداوتهم للمؤمنين ماضية إلى يوم قيام الساعة، ونرى كيف ساقهم القدر إلى وعد أولاهما لما جاس المسلمون خلال ديار خيبر وطردوهم منها أذلة صاغرين، ثم يسوقهم إلى وعد الآخرة في آخر الزمان جزاء وفاقا على بغيهم وفسادهم وعلوهم في الأرض بغير حق.

ولهذا فقد تميزت العلاقات بين المسلمين واليهود في زمن النبوة بتوتر ها الشديد حيث تعددت المؤامرات، وتنوعت الدسائس، واختلفت المكائد، وتكررت الأحلاف التي عقدها اليهود مع أهل الشر ك والوثنية للقضاء على دعوة الإسلام وعلى حامل لوائها النبي الخاتم ﷺ، ونقضوا عهد التناصر - الذي نص عليه دستور المدينة- الذي عقده رسول الله ﷺ معهم مرارا، حتى طردوا من مدينة الرسول ﷺ بما كسبته أيديهم، وما زالت ذاكرتهم تذكر ذلك التاريخ وخاصة ما حدث لبني قريظة ويهود خيبر، مما جعلهم يفكرون في إقامة دولتهم في "الأراضي التوراتية" ليس في الشام والعراق ومصر بل ترنو أبصارهم إلى المدينة المنورة موطن الأجداد من بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير.

فلا حدود لعلو اليهود وكيدهم وعداوتهم ومكرهم وخبثهم وفسادهم وحنقهم، فهم الذين يلقنون أبناءهم منذ نعومة أظفارهم مبادئ العنصرية والحقد وأنهم "شعب الله المختار".

فاليهود هم اليهود، ولا يزالون أبدا أئمة البغي والفساد، والغدر والخيانة، ولهذا حذرنا القرآن الكريم غاية التحذير من اليهود وبيَّن لنا سنن الله فيهم، ومع ذلك اتخذه قومه مهجورا، ونبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون..!

ومن كل ما سبق خصصت هذا الكتاب سنة الله في اليهود الذين يسوقهم القدر المحتوم إلى (وعد الآخرة) وهو وعد ما زال لم يتحقق ادخره الله تبارك وتعالى لهذه الأمة في آخر الزمان، تكريما وتشريفا لسيد الوجود سيدنا محمد ﷺ.

فوعد الله آت وهو المنار الذي يوجه هذه الأمة المستضعفة إلى شاطئ السلامة وبر الأمان ويرسم لها طريق الخلاص، وسبيل العزة والنجاة، ويدلها على أنسب الرياح للإبحار. وما عليها إلا أن تحسن استشراف الأفق، وتحذر فخاخ الجَزْر القاتلة.

هذا، فبمنظار سنة الله يتضح لنا الماضي جليا لاحبا وكذلك الحاضر لنتصور المستقبل ونتحرك نحوه دون انحراف عن سكة الصراط المحمدي المستقيم.

وصدق الله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ الأنعام: ١٥٣

وللأهمية التي يكتسيها هذا الموضوع في هذا العصر الذي تكالب فيه الصهاينة على أمة الإسلام، تم تقسيمه إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول للحديث عن صفات اليهود ومكائدهم ومكرهم.

والمبحث الثاني تناولت فيه شدة عداوة اليهود للمؤمنين وهي مستمرة إلى قيام الساعة.

والمبحث الثالث خصصته للحديث عن سنة الجزاء من جنس العمل في معاقبة اليهود على نقضهم للمواثيق والعهود مع المسلمين.

أما المبحث الرابع فللحديث عن (وعد أولاهما) الوعد الإلهي بالإفساد اليهودي الأول وإزالته على أيدي المسلمين.

أما المبحث الأخير فللحديث عن وعد الآخرة، آخر إفساد لليهود في الأرض.

والله تعالى أسأل أن يلهمني الصواب والرشاد وأن يرزقني الحكمة وفصل الخطاب آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
القاسية قلوبهم

القاسية قلوبهم

لقد حذرنا القرآن الكريم من دسائس اليهود وكيدهم وألاعيبهم وحيلهم، وما تكنه صدورهم من الخبث والحقد، وما يُبَيِّتُونَهُ من الكيد والضر، فهم الذين يتصيدون كل فرصة لينفذوا منها إلى إشاعة الاضطراب وبث الشكوك لتمزيق الصف الإسلامي، وتخريب مجتمع الإسلام، وتقطيع أواصر المحبة والأخوة بين المسلمين، فالعِداء للإسلام أمر مبطنٌ في قلوبهم.

فقصة اليهود كما تناولها القرآن الكريم "تثير الدهشة، إذ أن الله سبحانه وتعالى تناول هذه القصة من جميع جوانبها. فكشف حالة اليهود النفسية والفكرية والسلوكية وكيف وقفوا للحق معاندين ومستكبرين، ساخرين ومستهزئين جاحدين لنعم الله وفضله، ومحاربين لله ولرسوله"[1].

فاليهود اتصفوا "بصفات أخلاقية عجيبة، حيث توفرت لهم مجموعة من الرذائل الأخلاقية والمفاسد السلوكية بصورة عجيبة لعلها لم تتوفر لأمة أخرى من الأمم، ورسخت في نفوسهم رسوخا ثابتا لعلها لم ترسخ مثله في أمم أخرى، واتخذت هذه الرذائل والمفاسد والقبائح والنقائص والأمراض والآفات خطوطا ثابتة، وعلامات بارزة، ومسارات مستقرة في النفسية اليهودية العجيبة المعقدة، فنَمت في أطوائها، وتغلغلت في أغوارها، وهناك تفاعلت ونَمت وترعرعت وسَرَت في كافة جوانب هذه النفس ومجالاتها ونوازعها"[2].

هذه الجبلة النكدة الشريرة حذر القرآن من حقدها الذي ينغل من صدرها، فقال الله جل شأنه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[3].

---

(1) المواثيق والعهود في ممارسات اليهود، قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر، جبر الهلول، ص 403.

(2) الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ -وسمات- ومصير، ضمن سلسلة من كنوز القرآن (3)، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص193.

(3) سورة البقرة:105.

وقال الله تعالى وتقدس: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

ومن ثم فلابد أن نذكر بعض صفات هذه الجماعة العاقة إخوان القردة، حتى نكون على بينة من دسائسها، ولا ينبئك عن اليهود مثل خبير، وهل هناك خبير بأحوالهم كخالقهم، الذي يعلم سرهم وجهرهم!

فلابد من معرفة طبيعتهم وصفاتهم وما يخططون له، حتى ندرك عدالة الأحكام التي حكم بها سيد الخلق وحبيب الحقﷺ عليهم، سواء في معاقبته ليهود بني قينقاع، أو في إجلائه لبني النضير، أو في إبادته لبني قريظة، أو في قطعه دابر يهود خيبر، أو في أحكامه الأخرى على يهود آخرين. لنرد بهذه الحقائق بضاعة أهل الزيغ والضلال – الذين يشوهون صورة الجهاد النبوي، ويبثون حوله الافتراءات والشكوك، ويدرجون فيه ما ليس منه، بدعوات جريئة باطلة– إليهم، ونفسد عليهم رأيهم، وندحض شبهاتهم، ونلقمهم جبالا من الحجارة.

فالتلفيق والتشكيك هو مهيع دعاة الضلال، الذين يسعون بخيلهم ورَجلهم لهدم الشريعة الغراء، وبث الأكاذيب والافتراءات حولها، لذلك يجب أن نكون لهم بالمرصاد، لرد كل كيدهم إلى نحورهم، وفضح أساليبهم الماكرة، وشعاراتهم البراقة.

هذا جانب.والجانب الآخر، لنحذر من التعامل معهم، ومن الشعارات الخداعة التي يرفعونها بدعوى تحقيق السلام[2]، والأمن والاطمئنان.

---

(1) سورة البقرة:120.

(2) فالسلام لا مكان له في الفكر الصهيوني، والسلام عندهم هو الذي يشتت وحدة المسلمين ويعمق خلافاتهم، لهذا فإن القضية الفلسطينية تتداول ملفاتها داخل أروقة الأمم المتحدة منذ [60] عاماً، والهجمات الشرسة والوحشية على الشعب الفلسطيني لا تتوقف، والاحتجاجات متواصلة، وأكاذيب السلام مستمرة، وقرارات الأمم المتحدة لا تسمن ولا تغني من جوع، لأنها منحازة للطرف الصهيوني. والسلطة الفلسطينية اكتفت بإرسال سيل عارم من دموع التماسيح، فهي مسيرة وتملى عليها القرارات، والمفاوضات المتكررة أصبحت خزعبلات وطلاسم تجعل الشعب الفلسطيني يعيش في سماء الأحلام والأوهام، فأي نكبة حلت بشعبنا الفلسطيني أشرس من هذه النكبة؟ =

فمن صفاتهم المذكورة في القرآن الكريم والذكر الحكيم:

- **اليهود مستهزؤون:** يقول الله جلت عظمته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨ ﴾[1].

- **اليهود خائنون:** ينقضون العهود ويحرفون الكلم عن مواضعه: وهذه من سماتهم التي لا تتخلف، فلن "تجد قوما مثل يهود في الاستخفاف بالعهود والمواثيق، وفي عدم مراعاتها أو الالتزام بها، وفي جرأتهم عليها والقيام بنقضها وإبطالها وإلغائها" [2].

وفي سيرة الحبيب المصطفى ﷺ دلائل باهرة على نقض اليهود لعهودهم، وعدم مبالاتهم بها، فنقض العهد ديدنهم، والجرأة عليها جبلتهم، فقد تجرأ بنو النضير على نقض العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل حاولوا اغتياله صلوات ربي وسلامه عليه.

فهم أصل كل شر وخبث، وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة تصوير اكاملا لصفاتهم الدنيئة وأخلاقهم الذميمة.

= والأشد من ذلك اتفاقيات "السلام" التي أبرمت مع العدو الغاصب، والتي تعتبر دليلاً واضحاً على الخذلان، ابتداءً من معاهدة كامب ديفيد سنة 1978، والتي تم بموجبها الاعتراف بالكيان الصهيوني وتطبيع العلاقة معه، وكرس التنازل النهائي والرسمي عن الأراضي التي احتلها الصهاينة قبل 1967. مروراً باتفاق غزة أريحا 3/ 9 – 1993 في عهد عرفات الذي يعتبر واحداً من أيام الهزائم في عصر الانحطاط العربي، وما اتفاقية سايكس بيكو 1915 (التي تقضي بإقرار واقع التجزئة وإضفاء المشروعية عليه) ووعد بلفور 1917 (القاضي بمنح اليهود وطناً في فلسطين) عنا ببعيد، هذا إضافة إلى فضيحة أوسلو 1993 ... وما خارطة الطريق بالتي تنسى... وهلم جرا من الاتفاقيات التي أبرمت في السنوات الأخيرة والتي تقضي بحفظ مصالح الصهيونية العالمية في "أرض الميعاد" كما يعتقدون. فكل هذه الاتفاقيات لم تكن برداً وسلاماً على الشعب الفلسطيني بل كانت حميماً وغساقاً. "أوهام السلام"، مقال لرشيد كهوس، المنشور في مجلة المجتمع الكويتية، العدد:1574، 25/ 10/ 2003.

(1) سورة المائدة:58.

(2) الشخصية اليهودية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص241.

والمتتبع لتاريخهم، "ومواقفهم يشاهد تلك الأفعال القبيحة، والأخلاق الرذيلة التي يتصف بها هؤلاء البشر، ولا غرابة في ذلك فهي طبيعة كل آدمي ينسلخ من دينه الصحيح، وعقيدته السليمة"[1].

يقول الباري جل وعلا: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

ويقول الحق سبحانه: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3].

فالاستهزاء بالعهود والمواثيق ونقضها من جبلة اليهود، فهم ينظرون إلى " العهود والمواثيق التي يوقعونا مع غيرهم إنها توقع للضرورة ولغرض مرحلي ولمقتضيات مصلحة آنية، فإذا استنفذ الغرض المرحلي، نقض اليهود الميثاق من غير اشتجار بأي اعتبار خلقي أو التزام أدبي، فاللجوء إلى العهود والمواثيق ما هوا إلا حالة اضطرارية إن لم يستطع اليهود تجاوزها بالحيلة والخداع والتزوير، أو خشوا البطش بهم أو القضاء على مصالحهم المادية.

ولكن عندما تتوافر الظروف المناسبة، وتزول الحالة الطارئة التي اقتضت التوقيع على الميثاق، فلابد من إزالة هذا القيد الذي هو يقيد تصرفاتهم أو يحد من حركتهم للوصول إلى هدفهم الذي يسعون إليه"[4].

يقول الله جل جلاله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[5].

---

(1) السيرة النبوية، علي الصلابي، 1/ 600 – 601.
(2) سورة المائدة:13.
(3) سورة البقرة: 100.
(4) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ضمن سلسلة التفسير الموضوعي (3)، مصطفى مسلم، ص145.
(5) سورة البقرة: 83.

ويقول عز سلطانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

ويقول جل شأنه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2].

ويقول عز اسمه: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[4].

فاليهود "يتخذون الوعود والمواثيق أسلوبا وطريقا للوصول إلى أغراضهم، فقد يعقدون المعاهدة حتى يلتقطوا أنفاسهم ويعدون أنفسهم، فإذا ما تحقق لهم ما أرادوا ينكثون العهد والوعد"[5].

يقول الحق سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾[6].

ويقول الحق جل وعلا: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[7].

---

(1) سورة البقرة: 63 – 64.
(2) سورة البقرة: 93.
(3) سورة النساء:46.
(4) سورة آل عمران:187.
(5) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسان، سعد الدين السيد صالح، ص194.
(6) سورة النساء:155.
(7) سورة الأعراف:169.

- **اليهود ضالون مضلون:** فالضلالة قامت على قطبهم وتفرقت بشَعَبِهم تَكِيلُهُم بصاعها وتُخبطهم بباعها، يقول الباري جل جلاله: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

ويقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2].

ويقول الله عز اسمه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

- **اليهود سفهاء:** يقول الله جل جلاله: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[4].

- **اليهود يسارعون في الإثم والعدوان:** يقول الباري عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[5].

ويقول عز من قائل: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[6].

ويقول جل في علاه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ

(1) سورة آل عمران:69.
(2) سورة آل عمران:90.
(3) سورة المائدة:77.
(4) سورة البقرة:142.
(5) سورة البقرة: 85.
(6) سورة المائدة:62.

لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

- **اليهود متخصصون في كتمان شهادة الحق والتضليل والتلفيق:** إن "الكتمان تارة يكون بستر الشيء وإخفائه وتارة أخرى يكون بإزالته ووضع شيء آخر مكانه، واليهود على عهد الرسول محمد ﷺ فعلوا في التوراة الأمرين كليهما، فقد أخفوا حكم رجم الزاني، وأنكروا بشارة التوراة بمحمد ﷺ وتعسفوا في تأويل ما ورد فيها على وجه لا ينطبق على محمدﷺ، وكذلك فعلوا بالدلائل على نبوة عيسى # وزعموا أنها لغيره، هذا هو المراد بكتمان ما أنزل الله من البينات" [2].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[3].

ويقول الحق سبحانه: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[4].

ويقول جل شأنه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[5].

ويقول ربنا الكريم: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[6].

---

(1) سورة المائدة:41.
(2) اليهود في القرآن، عفيف طباره، ص57.
(3) سورة البقرة: 174.
(4) سورة البقرة: 140.
(5) سورة البقرة: 146.
(6) سورة البقرة: 42.

ويقول ربنا عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[1].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

- **اليهود يفسدون في الأرض ويصدون عن سبيل الله:** إن اليهود دأبوا "طيلة تاريخهم الطويل على الفساد والعدوان في الأرض، لم تَصْفُ قلوبهم لأمة من الأمم، ولا لشعب من الشعوب، ولم تَسْعَد نفوسهم إلاَّ بالأذى يلحقونه بالناس، ولم ترْضَ ضمائرهم إلا بالشر يوقعونه في عباد الله عز وجل.

ولم يكتفوا بالزّيغ عن الدين وركوب طرق الفساد والضلالة ومناوأة الأنبياء والمُصلحين، بل ارتكبوا مظالم كثيرة في حق الناس الذين حكموهم وفتحوا بلادهم: قتلوهم، وأخذوا أموالهم، واستباحوا أعراضهم، وقهروهم، وأذلوهم، وهدموا مساكنهم، واستباحوا مُدنهم، وأثبتوا بسلوكهم هذا أنهم غير أهل لعمارة الأرض، وغير جديرين بإقامة دولة ذات رسالة سماوية، تُصلح فساد الناس، وتقودهم إلى الهدى والخير، وتقيم العدل فيهم، وتضرب على يد الظالم منهم"[3].

يقول الله تقدس وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[4].

ويقول الله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾[5].

ويقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[6].

(1) سورة آل عمران:187.
(2) سورة الأنعام:20.
(3) بنو إسرائيل في ميزان القرآن، البهي الخولي، مقدمة الكتاب ص: ب- ل، بتصرف.
(4) سورة البقرة: 27.
(5) سورة الرعد:25.
(6) سورة آل عمران:99.

- **اليهود ملعونون:** بنو إسرائيل هم الأمة الملعونة في القرآن المطبوع على قلبها إلى الأبد، هم الأمة التي بشر الله بهلاكها على أيدي أمة الإسلام.

ولعنة الله على "اليهود هي دائمة ثابتة عليهم لا تفارقهم في تاريخهم كله، ولقد تكررت اللعنة -بمختلف تصريفاتها-، وهذا من أوضح الأدلة على اللعنات المنصبة على يهود الملعونين، وقد تحولوا إلى "ملعنة" في كل تاريخهم، الذي كفروا فيه بالله وحاربوا رسله ودينه"[1].

يقول الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[3].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[4].

- **اليهود قاسية قلوبهم:** إن قسوة القلوب وفسادها سمة لاصقة بكل يهودي.

ومن ثم "فقسوة القلب في سائر المواضع خصت اليهود. تفردوا عن طوائف الكافرين والمنافقين بذلك وبكون قلوبهم في أقسى درجات القسوة"[5]. قال الحق سبحانه يخاطب هذه الجماعة العاقة من اليهود ليذكرهم سوء أعمالهم، وقساوة قلوبهم من بعدما كذبوا سيدنا موسى # وجادلوه بالباطل: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[6].

(1) الشخصية اليهودية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 259.
(2) سورة المائدة:13.
(3) سورة البقرة:88.
(4) سورة البقرة:89.
(5) سنة الله، ص60.
(6) سورة البقرة: 74.

فقلوب "اليهود قست ففقدت التأثر والانفعال فلم تعد الحكم والعظات والعبر تستطيع الوصول إلى قلوبهم والنفاذ فيها فهبطوا من سمو الروح الإنسانية إلى رتبة الجماد بل إلى ما دون ذلك"[1].

فقد اختص اليهود" من بين كل الأمم باجتماع الشر كله في قلوبهم: غلاف القلوب ومرضها وقسوتها والطبع الإلهي عليها والختم. زادوا على ذلك اللعنة والغضب. استحقوا ذلك كله فتهيأوا بتراكم اللعنات والأوبئة ليكونوا كما نشاهد، أو كما لا يحب البعض أن يشاهدوا، جرثومة الفساد في الأرض وعينه ومنهم يتفجر، سدَنَته ومدبريه وتجاره. وتهيأوا لنقمة الله الموعودة على أيدينا يوم تتوفر فينا الشروط"[2].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[3].

ويقول الله سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾[4].

ويقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾[5].

- **اليهود يقتلون أنبياءهم ورسلهم:** يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[6].

---

(1) اليهود في القرآن، عفيف طباره، ص59.
(2) سنة الله، ص60.
(3) سورة المائدة:13.
(4) سورة النساء:155.
(5) سورة المائدة:60.
(6) سورة آل عمران:112.

ويقول عز سلطانه: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[1].

ويقول تقدست أسماؤه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[2].

ويقول جلت عظمته: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾[3].

ويقول الباري جل وعلا: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[4].

- **اليهود مراوغون:** وقصة الذبح التي تحدثت عنها سورة البقرة خير دليل، يقول الحق سبحانه: ﴿ ... فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[5].

- **اليهود حاسدون:** يقول الله جل وعلا: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾[6].

- **اليهود متحايلون:** يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[7].

---

(1) سورة آل عمران:181.
(2) سورة آل عمران:183.
(3) سورة النساء:155.
(4) سورة المائدة:70.
(5) سورة البقرة: من الآية71.
(6) سورة النساء:54.
(7) سورة البقرة:58 - 59.

ويقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[1].

- **اليهود محرفون:** يقول الباري سبحانه وتعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

ويقول جل جلاله: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[3].

- **اليهود أحرص الناس على حياة:** لقد تميز اليهود بشدة حرصهم على الحياة، يقول الله سبحانه: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[4].

فاليهود "هم أحرص الناس على مطلق الحياة وهم أحرص من الذين أشركوا لأنهم يتمنون مُطلق حياة، فهم لا يؤمون بحياة أخرى فترى الواحد منهم يتمنى أن يطول عمره في هذه الدنيا الفانية سنة، ولكن تمنيهم هذا لو تحقق لن ينجيهم من عذاب الله جزاء أعماله"[5].

ويقول جلت عظمته: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[6].

---

(1) سورة الأعراف: 161 - 162.
(2) سورة النساء: 46.
(3) سورة البقرة: 75.
(4) سورة البقرة: 96.
(5) اليهود في القرآن، عفيف طباره، ص34.
(6) سورة البقرة: 94-95.

ادعى اليهود أن لهم الدار الآخرة عند الله من دون الناس، "وأنهم أبناؤه وأحباؤه وأهل كرامته، كذبهم الله في دعواهم. وقال: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت. لتصلوا إلى دار النعيم. فإن الحبيب يتمنى لقاء حبيبه.

ثم أخبر سبحانه أنهم لا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم من الأوزار والذنوب الحائلة بينهم وبين ما قالوه"[1].

ويقول الله تقدست كلماته: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾[2].

- **اليهود متخصصون في الكذب على الله:** لقد "عبر القرآن الكريم عن أخلاقهم السقيمة وأنماط سلوكهم الأثيمة مع الشعوب الأخرى، ومع أنبيائهم ومع أنفسهم، حتى تجرؤا بقولهم المقيت على الله، فسجل القرآن لهم هذا القول والسلوك"[3].

إن جرأة شياطين اليهود على الله لا نهاية لها، "فهم لا يستكبرون على الخلق فقط ويعتبرونهم كالكلاب، بل تكبروا على الله عز وجل، وعلى أنبيائه. في يدنا الخبر الصدق عن ذلك في القرآن الكريم إذ حكى الله قولهم"[4].

يقول الله تقدست أسماؤه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[5].

ويقول عز من قائل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ

(1) التفسير القيم، لابن قيم الجوزية، ص146.
(2) سورة الجمعة:6 – 7.
(3) اليهود فتنة التاريخ، ماهر أحمد آغا، ص119.
(4) سنة الله، ص143.
(5) سورة التوبة:30.

وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

ويقول الله تعالى وتقدس: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[2].

ومن الطوام التي جاءت في كتابهم المقدس، أنهم يتهمون الله بالتجسيد ويمثلونه بالبشر:"يهوه كجبار يخرج. كمحارب ينهض الغيرة يصيح صيحة حرب، ويقوى على أعدائه.

قد لزمت الصمت طويلا. سكتُّ وضبطت نفسي. كالمرأة التي تلد أئن وألهث وأشهق معا"[3]. تعالى الله وتقدس عما يقول المفترون علوا كبيرا.

وفي كتبهم الطوام وكثير من الإجرام، وفي تلمودهم ما لا يعد ولا يحصى من الادعاءات والكذب والجحود والشيطنة. ﴿ ... أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4].

- **اليهود متخصصون في التكذيب على أنبيائهم وتشويه صورتهم**[5]: إن الشيطان يُسَنِّي لليهود طرقه ليتبعوا عَقِبَهُ، فتبعوه شبرا بشبر وباعا بباع حتى دخلوا معه في دهاليزه، وأتقنوا مَهنته، فأمدهم بالجنود تنصب معهم الشراك، وتدس معهم الدسائس، وتمدهم بالحيل... فلما دعاهم أنبياؤهم ورسلهم إلى الطريق المستقيم، لم تستقم لهم قناة، بل شوهوا صور أنبيائهم وكذبوا عليهم، وافتروا عليهم افتراء عظيما، وقالوا فيهم بهتانا وإثما مبينا.لقد اتهموا أنبياءهم بالفساد والظلم والقتل والكذب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

---

(1) سورة المائدة:64.

(2) سورة آل عمران:181.

(3) الكتاب المقدس، سفر إشَعْيا، الإصحاح: 42، الفقرة: 13و14.

(4) سورة الأنعام: من الآية31.

(5) لبذاءة أسلوبهم في إلصاق البغي والفساد والخطيئة بأنبيائهم حاولت أن لا أقتطف شيئا من ذلك الدنس من كتابهم، لكن أحيل على بعض النصوص الواردة في كتابهم المقدس، انظر مثلا في اتهامهم لسيدنا يعقوب # بالخطيئة والمعصية في سفر إشعيا، الإصحاح: 42، الفقرة: 24 و25. والإصحاح: 43، الفقرات: -22 28. واتهامهم لسيدنا سليمان # باتباع آلهة أخرى بسبب حبه للنساء، وأن الله قد غضب عليه بسبب معصيته وخطيئته فانتزع منه شيئا من مملكته: سفر الملوك الأول، الإصحاح: 11، الفقرات: 1 - 43. إلى غير ذلك من الترهات والأباطيل والافتراءات التي يلصقونها بأنبيائهم.

ولعل مما يلفت النظر، وينم عن الخطر، أن نجد في كتبهم المكدسة، تأصيلا لأكاذيبهم وحيلهم، جاء في تلمودهم:"يجوز لليهودي ان يلجأ إلى الأكاذيب (الحيل) لكي يراوغ أمميا"[1].

وهكذا، فاليهود "ضالون يكذبون بالحق وبالذي جاء به، وذلك الكفر والتكذيب منهم موقف أصيل ثابت، وقرار جاهز نافذ، فما أن يأتيهم حتى يكفروا به، وما أن يأتيهم الرسول بالحق حتى يكذبوا به"[2].

يقول الله عز اسمه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[3].

ويقول الباري جل شأنه: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[4].

ومما لا جدال فيه أنه ليست هناك أمة تنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الأنذال الكفرة إخوان القردة.

"فاعجبوا لوغادة هؤلاء الأوباش، ولرذالة هؤلاء الأنذال، الممتنين على ربهم عز وجل، المستخفين به وبملائكته وبرسله. وتالله ما بخسهم ربهم حظهم، وما حقهم إلا الخزي في الدنيا، والخلود في النار في الآخرة، وهو تعالى موفيهم نصيبهم غير منقوص"[5].

- **اليهود متخصصون في أكل الربا والحرام والسحت:** وهذه من صفاتهم التي لا تتغير ولا تتبدل، يقول الله عز سلطانه:﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[6].

---

(1) التلمود كتاب اليهود المقدس، أحمد إيبش، ص395.
(2) مع قصص السابقين في القرآن، ص88.
(3) سورة البقرة: من الآية87.
(4) سورة المائدة:70.
(5) توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي، قدم له وهذبه ورتبه وعلق عليه: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ص545.
(6) سورة المائدة:62.

ويقول الحق تقدست كلماته: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

لقد فضح القرآن اليهود، "وكشف عن افتراءاتهم، ووصفهم بالبغي، وأكل السحت، والصد عن سبيل الله"[2].

- **اليهود أجبن خلق الله ملعونين على ألسنة أنبيائهم:** وصف القرآن الكريم والذكر الحكيم "اليهود بالجبن، والجبان من صفاته الغدر والخيانة ليعوض بذلك عمّا ينقصه من شجاعة.

وما تنعدم الشجاعة في قوم إلا وسيطر عليهم الجبن وذلك سبب حبهم المفرط للدنيا والتمتع بمشتهياتها، لأن الشجاعة وليدة المخاطر، ووليدة العقيدة الراسخة التي يستهين صاحبها بالموت في سبيل تحقيق ما تدعو إليه.

فاليهود عُرفوا بالجبن والفرار من المعارك الحامية الوطيس ولكنهم مهرة في تدبير المؤامرات، والاعتداءات المصحوبة بالغدر والخديعة"[3].

يقول الله جل شأنه: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[4].

ويقول الله جل جلاله: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[5].

فالغشاوة المضروبة على قلوبهم، "وقسوتهم تدفعهم للقتال، يستميتون فيه كما نشاهد في عصرنا، لكن الهلع الآتي من مرض القلب وخوائه من الإيمان تجعل الواحد منهم أشد

(1) سورة المائدة: 63.
(2) أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة، وفا صادق، ص44.
(3) اليهود في القرآن، ص42.
(4) سورة المائدة: 78.
(5) سورة الحشر: 14.

الناس خوفا وأعجزهم عن المواجهة إلا إن كان في عُصبة من قومه ووراء حصن من حجر، كما كان في العهود السابقة، أو حصن من فولاذ يدبُّ في الأرض أو يطير في السماء"[1].

وفي قصتهم مع كليم الله موسى عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فقد أمرهم بالجهاد فتقاعسوا وجبنوا، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

لما طلب منهم –من اليهود– نبيهم المرافَدة قعدوا عن نصرته، وتثاقلوا في إجابته، ودارت أعينهم كأنهم من الموت في غرة، ومن الذهول في سكرة.

فجبنهم وخوفهم وذلهم كره إليهم القتال والجهاد، ورغَّبهم في التخلق والتقاعس والاستسلام[3].

---

(1) سنة الله، ص59.

(2) سورة المائدة:21 24.

(3) إن قعود اليهود وتخلفهم عن الجهاد وتقاعسهم عنه وجبنهم وخوفهم هو أساس الداء عند أمة تسلك مسلكهم، وتتخلى عن القتال والجهاد والاستشهاد، وتؤثر عليه طريق الذل والهوان والضعف والهزال والاستسلام للعدو الحاقد الذي ينخر كيانها، ويغتصب أرضها، ويخرب عقول أبنائها، وتتوهم انتصارات خارقة للعادة دون بذل أي جهد، أو عن طريق المفاوضات –المباشرة وغير المباشرة– التي تتبعها تنازلات لصالح العدو، تزيد في عمر بقائه على أرضها، واكتساب المزيد من الأراضي، أو تنتظر هذه الأمة خروج أعدائها من أراضيها، بكرم وأريحية.
وهذا هو المنطق الذي عليه بعض العرب في هذا العصر، في رؤيتهم للصراع مع اليهود، وتصورهم لاسترجاع الأراضي الفلسطينية المغتصبة التي اغتصبها اليهود –بعد عام 1967 – .
وبسبب هذه النظرة التجزيئية عند هؤلاء والفهم الساذج الذي لا يقبله الرأي المنيف ولا الشرع الحصيف، نرى قضية فلسطين المسلمة تتراجع باستمرار، وواقعها يزيد تأزما، وصفها يزيد شرخا وانقساما، واليهود يزيدون استوطانا وقد وجدوا أيادي خائنة من أبناء جلدتنا تعمل لصالح الصهاينة أمثال: دحلان وبعض الجاثمين على الكراسي من حكام العرب.

- **سوء فعال اليهود:** اغتروا بطول الإمهال فارتكبوا قبيح الأعمال، فكانت لهم سنة الله - التي لا تحابي أحدا- بالمرصاد.

يقول جل في علاه: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1].

يقول جلت عظمته: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

- **اليهود لا ينتفعون بهدي:** يقول الحق سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3].

- **إعراضهم عن شريعة الله:** إن الشخصية اليهودية "شخصية متلونة لا تعرف الأخذ الجاد بالأحكام التي تحد من شهواتها وتخالف أهواءها، وتحاول التملص من قيود التشريعات لتطلق لهوى النفس العنان فنفسد في الأرض وتدمر وتحاول التحايل بأي وسيلة لتعطيل الشرائع وتفريغها من محتواها التربوي الذي يحمل النفس على الاستقامة"[4].

يقول الحق جل وعلا: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[5].

وما ذكره سبحانه وتعالى في الآية الكريمة السابقة أدل ما يدل على أن قلوبهم مألوسة فهم لا يعقلون ولا يدبرون ولا يفقهون، قمصتهم الدنيا بأرجلها، وقنصتهم بأحبُلها، وأقصدتهم بأسهمها. أشرطوا أنفسهم، وأوبقوا دينهم لحطام ينتهزونه، أو لغرض دنيوي يستجلبونه..، فهم يركضون وراء غرور حائل، وضوء آفل، وظل زائل، وسِنَاد مائل، نسوا الله فنسيهم، ونبذوا شريعته وراء ظهورهم، فديِّثُو بالصَّغار والقَمَاءَة، وضرب على قلوبهم بالأَسْدَاد.

(1) سورة المائدة:80.
(2) سورة المائدة:79.
(3) سورة الجمعة:5.
(4) معالم قرآنية، ص148.
(5) سورة المائدة:61.

- **اليهود أشد عداوة للمؤمنين:** لقد كانت جماعة اليهود معارضة للحق معادية له، فالعداوة بهم معصوبة سواء جهروا بها، " إن واتتهم فرصة المجاهرة، أو أضمروها، وتحركوا في السر، يتآمرون ويدسون ويخربون..

ولقد كانت عداوة اليهود–منذ البداية– للإسلام أشد..لأنهم كانوا يعلمون –منذ البداية– أن الدين الحق.. المنتصر بإذن الله.. رغم أنفهم "[1].

فهم "معلومون ومعلوم تقادم عداوتهم للمسلمين وفتنتهم المتصاعدة إلى عهد الخلفاء الراشدين. وإني لذو شبهة من أنملة اليهود في اغتيال أكثر الخلفاء الراشدين وفيهم الخليفة الأعظم والأعدل عمر بن الخطاب رجل الإسلام والمسلمين لاسيما في دم عثمان بن عفان التي كانت مبدأ كل فتنة حدثت في الإسلام"[2].

وفي القرآن الكريم "صور عدة لدسائس اليهود بين المسلمين وكيدهم لهم وللدعوة الإسلامية، وتآمرهم عليهم مع المنافقين من جهة والمشركين من جهة أخرى، تدل على بعد مدى ما كان من سوء نيات اليهود ضد المسلمين وشدة نكايتهم فيهم، وتوسلهم بكل وسيلة إلى محاربة الإسلام وتقويض أركانه"[3].

فقد كان لليهود خطط شتى من إثارة القلائل والدس والمؤامرة وإثارة الفتن في صفوف المسلمين، كما كانوا "يبثون الدعايات الكاذبة، ويؤمنون وجه النهار، ثم يكفرون آخره، ليزرعوا بذور الشكوك في قلوب الضعفاء، وكانوا يضيقون سبل المعيشة على من آمن إن كان لهم به ارتباط مالي، فإن كان لهم عليه يتقاضونه صباح مساء، وإن كان له عليهم يأكلون بالباطل، ويمتنعون عن أدائه، وكانوا يقولون: إنما كان علينا قرضك حينما كنت على دين آبائك، فأما إذ صبوت فليس لك علينا من سبيل"[4].

---

(1) اليهود واليهودية والإسلام، عبد الغني عبود، ص143 – 144.
(2) الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، دراسة حول كتاب "النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة"، تقديم ودراسة: مصطفى حلمي، ص202.
(3) سيرة الرسولﷺ، محمد عزة دروزة، 2/ 166.
(4) الرحيق المختوم، ص215.

يقول الحق جل وعلا: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

- **اليهود متخصصون في إثارة الفتن وإشعال الحروب:** ليس هناك شيء يهلك الحرث والنسل كالحروب، "فهي كالمحرقة التي تحرق مكاسب الشعوب والأمم، وتترك الأوطان والديار قاعا صفصفا، تدمر الحضارات وتقضي على جهود الأجيال في البناء والتقدم.

ولقد أدرك اليهود هذه الآثار بجبلتهم فصرفوا جهودهم لإثارة الحروب بكل ما أوتوا من مكر ودهاء على أن يكونوا أحد الأطراف فيها بل يكونوا المستغلين المستفيدين منها"[2].

لقد شهد القرآن الكريم بوجود اليهود خلف كل "عنف جهنمي، وخلف كل كراهية للإنسانية، وخلف كل قساوة قلب مدمرة وتآمر دنيء مفلسف أو ساذج حقيقة شهد بها الله خالق كل شيء في كتابه، وشهدت بها سيرة سيدنا محمدﷺ وجماعته المباركة، وتشهد بها نصوص اليهود أنفسهم"[3].

وقد ذكرهم القرآن بأقبح صفاتهم وأشنعها، فهم من يثير الحروب والفتن بين الجماعات، فهي صفة "تدل على نفوس متغلغلة في الشر وسخط عام على البشرية للانتقام منها بإشعال الحروب فيما بينها وإثارة الانقلابات لمنفعة ذاتية يصلون إليها من وراء ذلك.

فالقرآن يقرر أنهم كلما أشعلوا نارا للحرب خذلهم الله في مسعاهم وارتد كيدهم على أنفسهم فغُلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على واحد قط، وهم في الماضي في محاولاتهم لحرب الرسول محمد ﷺ وتأليب المشركين عليه لم ينالوا خيرا بل هُزموا ونصر الله رسوله عليهم وخذلهم في كيدهم"[4].

يقول الباري سبحانه وتعالى: ﴿ ...كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[5].

(1) سورة البقرة: 14 - 15.
(2) معالم قرآنية، ص183.
(3) سنة الله، ص310.
(4) اليهود في القرآن، عفيف طباره، ص49.
(5) سورة المائدة: من الآية64.

فتاريخهم الطويل "مرتبط بالتخطيط الإجرامي، وحوك الدسائس، والاستهانة بجميع المقدسات والقيم، وفي تاريخهم انتصارات مؤقتة، ذات نهايات تعيسة، أقلها الهزيمة والتشرد"[1].

وتاريخهم الأسود يشهد على جرائمهم وعِدائهم، إذ هم "أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد والحرب في المدينة وفي الجزيرة العربية كلها، لقد كانوا حربا على الجماعة المسلمة منذ اليوم الأول، فهم الذين احتضنوا النفاق والمنافقين في المدينة وأمدوهم بوسائل الكيد للإسلام والمسلمين، وهم الذين حرضوا المشركين وواعدوهم وتآمروا معهم على الجماعة المسلمة، وهم الذين تولوا حرب الإشاعات والدس والكيد في الصف المسلم، كما تولوا بث الشكوك والشبهات والتحريفات حول العقيدة، وحول القادة، وذلك كله قبل أن يسفروا بوجههم في الحرب المعلنة الصريحة"[2]. أضف إلى ذلك أن تاريخهم "حافل بسلسلة طويلة من أعمال الإرهاب والقتل الجماعي"[3].

ومن ثم فاليهود "في كل زمان ومكان قوم مردوا على سفك الدماء وإشعال الحروب والفساد في الأرض وليس هناك من اتفاق لحقوق الإنسان وضعته هيئة الأمم المتحدة إلا وخرقته إسرائيل، إن جريمة إبادة الجنس البشري في شريعة إسرائيل هي عمل تحمد عليه، وحكمة جديدة في قاموسهم"[4].

- **اليهود غادرون وماكرون وخداعون:** إن النفسية اليهودية تنطوي على مكر شديد، وغدر بالغ، وحقد أسود متأجج، فهي تكره كل الأمم غير اليهودية، وتهدف إلى استئصال كل من على الأرض، والقضاء على جميع بني الإنسان، لأنها لا تريد الحياة إلا لنفسها، ولم يعرف التاريخ أمة حاقدة كاليهود ولا أسرع نقضا للعهود مثلهم، ولقد اكتوى العالم بنار حقد اليهود ومكرهم وغدرهم وخيانتهم، فكثير من الحوادث المؤلمة والوقائع الشنيعة تحركها الأيدي اليهودية الحاقدة تحت جنح الظلام والناس نيام.

---

(1) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتقديم: إحسان حقي، ص34.
(2) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين صالح، ص52 – 125، باختصار شديد.
(3) الإرهاب يؤسس دولة نموذج إسرائيل، هيثم الكيلاني، ص6.
(4) الإسلام ومشكلات العصر، مصطفى الرافعي، ص137.

وصدق الله تبارك وتعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾[1].

فإن كانت هناك "عبقرية يهودية لا تماثلها عبقرية في الوجود، فيمكن أن تكون عبقرية المكر والخداع والغدر والتحايل إذ لم نسمع أو نقرأ عن مثيل لها فيها من البشر مهما كانوا كافرين أو مشركين أو بعيدين عن منهج الله. فقد تفرد اليهود بعبقريتهم هذه وابتكروا لها أساليب شيطانية، قد يعجز الشياطين عنها حقيقة"[2].

ولا أدل على غدرهم من قصة تلك المرأة اليهودية التي غدرت برجل فقتلته، وهي مذكورة في كتابهم المقدس، الذي جاء فيه، أن رجلا "فيما هو نائم مسترخ أخذت ياعيل وتدا وأمسكت المطرقة بيدها واقتربت منه بهدوء وضربت الوتد في صدغه حتى غرَزَ في الأرض، فمات"[3].

قتلته وغدرت به بعد ما أعطته له من وعود وعهود، وقد ذكر الكتاب السابق القصة بأكملها[4].

حتى تاريخهم شاهد عليهم أنهم لم يسلموا، ولم يخضعوا بالطاعة لنبي واحد بعث فيهم.

فالغدر من خلائقهم، كما غدرت تلك المرأة بذاك الرجل المذكور في كتابهم، فقد حاولوا أن يُغْرِوا بسيد الوجود ﷺ، وفكروا ودبروا بأن يلقوا صخرة عليه لينتهي أمره، لكن هيهات! وسنن الله في حفظه ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ﴿ ...وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ... ٦٧ ﴾[5].

وهكذا نجد أن "اليهود طراز خاص من البشر، ذوو صفات معينة، وإمكانيات خاصة، وكان لهم دور مخزٍ في جميع الأحداث التاريخية، فهم "مشوشو" العالم ومسببو آلامه وويلاته. ولكن نتائج أعمالهم تصيبهم هم دائما أكثر من غيرهم ولم يكن النجاح حليفهم

(1) سورة البقرة:9.
(2) المواثيق والعهود اليهودية، ص418.
(3) الإصحاح:4، الفقرة21، ص322.
(4) الإصحاح:4، الفقرات: 17 – 22.
(5) سورة المائدة: من الآية67.

في مختلف مراحل حياتهم، رغم نجاحهم المؤقت في كثير من الأحيان، وذلك يعود إلى أنهم صنف خاص من البشر، يعتبر نشازا في نسق البشرية الطبيعي"[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن تاريخ إخوان القردة حافل بالطرق التي استعملوها لهدم دين الإسلام، والتخلص من صاحب الرسالة العصماءﷺ، فأخلاقهم دقاق وعهدهم شقاق، فهم حيات صم، وحجارة خُشْن، فهم يتثالون على الإسلام من كل جانب ليمزقوه ويجعلونه أثرا بعد عين. لكن هيهات.. أن ينالوا منه شيئا! فالله قاهر من عازَّه ومدمر من شاقَّه، ومذل من ناوأه، وغالب من عاداه.

فاليهود "لم يبقوا في نطاق جحود نبوة النبي وتنزيل القرآن، وفي نطاق المكايدات والمكابرات والمماحكات الكلامية طويلا، بل تجاوزوه إلى الغدر ونقض العهد الفعلي الصريح منذ عهد مبكر"[2].

- **اليهود يحقرون باقي الأمم:** يقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.[3]

فاليهود يعتقدون أنهم "شعب الله المختار"، وغيرهم أحجار على رقعة الشطرنج. فهم ينظرون إلى باقي الأجناس على أنهم دونهم وأقل منهم! وهم يحقرون باقي الأمم.

جاء في كتابهم المقدس:" لا تذكروا الأوليات، ولا تتأملوا في القديمات. هأنذا صانع شيئا جديدا. الآن ينبت. أفلا تعرفونه؟ أجعل البرية طريقا وفي القفر أنهارا. يمجدني وحش الحقل. بنات آوى والنعام. لأني أجعل ماء في البرية. وأنهارا في القفر. كي أسقي شعبي، مختاري. الشعب الذي جبلته لنفسي، ليحدثوا بتسبيحي"[4].

وجاء كذلك في كتابهم المذكور:"وأما أنتم فجنس مختار، كهنوت ملكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لتعلنوا فضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب"[5].

---

(1) أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، ترجمة وتعليق: سعيد جزائري، مراجعة وتحرير: م.بَدوي، دار النفائس، والكلام أعلاه –في المتن– للأستاذ عرموش في آخر الكتاب ص358.

(2) سيرة الرسولﷺ، محمد عزة دروزة، 2/ 187.

(3) سورة البقرة:13.

(4) سفر إشعيا، الإصحاح: 43، الفقرات: 18 – 21.

(5) رسالة بطرس الأول، الإصحاح: 2، الفقرة: 9.

ومن الترهات الواردة في تلمودهم قولهم:"نحن شعب الله في الأرض، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنساني وهم كل الأمم والأجناس سخرهم لنا، لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والأنعام والطير، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب، فسخرهم لنا ليكونوا في خدمتنا وفرقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعناقهم"[1].

ومن معتقداتهم التي تبين حقدهم وعداءهم لكل من ليس من جنس اليهود، يقولون:"النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين"[2].

يقول الحاخام رشا:"يذنب اليهود ذنبا عظيما إذا رد للأممي ماله المفقود، لأنه بفعله هذا يقوي الكفرة ويظهر اليهودي بذلك أنه يحب الوثنيين ومن أحبهم فقد أبغض الله"[3].

هكذا يعتقدون، ويرشدون أتباعهم إلى ذلك، ويزرعون في قلوبهم الحقد والبغضاء والعداوة لكل من ليس يهوديا.

- **اليهود مخادعون ومخاتلون:** وإذا أرادوا التملص من شيء أوجدوا له مبرراته، ولعل أدق تعبير في وصف اليهود قوله تعالى وتقدس: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

وقوله عز سلطانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[5].

---

(1) إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية، إبراهيم خليل أحمد، ص80.
(2) إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية، ص67.
(3) الكنز المرصود في قواعد التلمود، تأليف: رهلنج، ترجمة: يوسف نصر الله، ص84.
(4) سورة المائدة:82.
(5) سورة المائدة:68.

فاليهود "ليسوا على عقيدة ربانية، ولا على دين مقبول، ولا على طريق صحيح مستقيم. أرسل الله لهم أنبياء فكذبوهم وقتلوهم، وأنزل لهم كتبا سماوية فحرّفوها وبدلوها، وأعطاهم عهدا فنقضوه ونكثوا به، وبدل أن يكونوا مؤمنين ربانيين تحولوا إلى كافرين ظالمين فاسقين مفسدين.

لم تعد لهم عقيدة[1] ولا دين ولا رسالة ولا غاية إلا الكفر والشر والإفساد"[2].

وقد نص كتابهم على أنهم فصيلة شريرة، جاء في كتابهم:"وكلم الرب موسى وهرون فقال: إلى متى أحتمل هؤلاء القوم الأشرار يلقون اللوم علي؟ سمعت لوم بني إسرائيل لك فقل لهم: حيٌّ أنا يقول الرب سأصنع بكم كما تكلمتم على مسامعي ففي هذه البرية تسقط جثتكم"[3].

وفي موضع آخر جاء فيه:"ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فغضب الرب على بني إسرائيل، فسلمهم إلى أيدي الناهبين فنهبوهم... فكانوا حيثما خرجوا للحرب تكون يد الرب عليهم لشرهم... فأقام عليهم قضاة فخلصوهم من أيدي الناهبين، ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا، فخانوا الرب باتباع آلهة أخرى وسجدوا لها وحادوا سريعا عن الطريق... فاشتد غضب الرب عليهم..."[4]، فكلما خلصهم عادوا إلى الشر وهذه هي صفاتهم وهذه هي طبيعتهم، جبلوا على الشر والخديعة والمكر.

فاليهود "معدن بشري تركزت فيه كل معاني الجاهلية، وكل أسباب الفتنة، فهم الحضنة المتخصصون لداء الأمم، وهم المنتجون الرئيسون له، وهم موزعوه بما خصهم الله عز وجل به من عنده وبما أجرموا ويجرمون. خصهم الحكيم العليم بخزي الدنيا والآخرة، وتأذن عليهم في كتابه العزيز، إعلانا صارما متْلُواً إلى يوم القيامة"[5].

---

(1) ولقد تحدث عن أصول عقيدتهم وشعائر ومذاهبهم الدكتور حسن ظاظا في كتابه:الفكر الديني اليهودي وأطواره ومذاهبه.

(2) الشخصية اليهودية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 155 – 156.

(3) سفر العدد، الإصحاح 14، الفقرات:27 – 29.

(4) سفر القضاة، الإصحاح2، الفقرات:11 – 23، والإصحاح3، الفقرات: 7 – 14.

(5) سنة الله، ص66.

زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور. ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

هؤلاء هم اليهود، خالفوا الحق، وخابطوا الغَيَّ، واتخذوا الشيطان لأمرهم مِلاَكاً، وفي خططهم ودسائسهم وزيرا ومستشارا، فاتخذهم له أشراكا وأولياء وأحبابا وفلذة أكبادا، فباض وفَرَّخ في غياهب نفوسهم، ودَبَّ ودرج في حجورهم، وجرى في دمهم، وتربع على عرش صدورهم، ونطق بالباطل على ألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزَيَّن لهم الخطل، فأخذ منهم الباطل مأخذه، وركب منهم الخداع مركبه، وأصبح نكث العهود أحب إليهم من الماء البارد، فهم الذي تآخوا على المكائد، وتحابوا على الدسائس. ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2].

ولا يفوتني القول بأن التفرق والتشرذم وعدم اجتماع كلمتهم، والعداوة بينهم، وشتاتهم في العالم، ماض في اليهود إلى وقت مجيء وعد الآخرة. وصدق الله تعالى القائل في كتابه العزيز: ﴿ ... تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[3].

وبعد، فهذا غيض من فيض في الكشف عن بعض صفاتهم الدنيئة، وخططهم الماكرة، وأساليبهم الهدامة.

هذه بعض صفاتهم، وما تخفيه صدورهم من الأحقاد والشرور أعظم، فهم اللعنة المجسدة والمثل المضروب لنا في القرآن وفي سنة الله، وهكذا اقتضت سنة تسليط الله لبعض عباده على اليهود سنة مطردة تؤكدها الوقائع التاريخية، جزاءً وفاقا على سوء فعالهم، وعلوهم وفسادهم، يقول الباري جل في علاه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[4].

(1) سورة فصلت:46.
(2) سورة آل عمران:87.
(3) سورة الحشر: من الآية14.
(4) سورة الأعراف:167 – 168.

رُغم ما نراه من علوهم وفسادهم، ورغم ما نراه لهم من أنصار، ورغم ما نزل بأمتنا من كرائه الأمور، وحَوازب الخطوب، فإن الله القادر جل وعلا سيبعث عليهم عبادا له أولي بأس شديد يسومونهم خسفًا، ويسوقونهم عنفاً، وينسفونهم في اليَمِّ نسفاً، ويقطعونهم إربا إربا. وما ذلك عليه بعزيز. ﴿ ...إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

بقي أن نشير ونحن نختم حديثنا عن صفات اليهود، أن من عيوب هذه الأمة أنها تغفل عن سنة الله في كونه، فتضيع بذلك كنوزها، وتشتت جهودها.

إن هذا كله يوضح لنا أننا بفهمنا لسنة الله في معاقبة اليهود، "وإيماننا بالله وإيماننا بعنايته يمنحنا الشعور بالأمن الذي لا يمكن تعويضه بأي شيء آخر"[2]، فوعد الله آت، والله لا يخلف الميعاد. وإن غدا لناظره لقريب. ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾[3].

(1) سورة آل عمران: من الآية 47.
(2) الإسلام والغرب، علي يبجوفيتش، ص395، بتصرف.
(3) سورة الطلاق: من الآية 3.

المبحث الثاني
شدة عداوة اليهود للمؤمنين

شدة عداوة اليهود للمؤمنين

إن سنة الله في عداوة اليهود للمؤمنين سنة ماضية إلى يوم القيامة، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

وقوله جل شأنه: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2].

وقوله عز اسمه: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3].

وقوله تقدست كلماته: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[4].

ولذلك فمنذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة القرآن بالمدينة المنورة، وجه اليهود سهامهم المسمومة إلى الإسلام، "وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة. ولقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل التي تفتقت عنها عبقرية المكر اليهودية، ولقد ألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الجزيرة العربية المشركة، وراحوا يجمعون القبائل المتفرقة لحرب الجماعة المسلمة.

إن الذي ألب الأحزاب على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة، وجمع بين اليهود من بني قريظة وغيرهم، وبين قريش في مكة، وبين القبائل الأخرى في الجزيرة.. يهودي.. والذي ألب العوام، وجمع الشراذم، وأطلق الشائعات، في فتنة مقتل عثمان > وما تلاها من النكبات.. يهودي.

---

(1) سورة المائدة: من الآية82.
(2) سورة البقرة: 120.
(3) سورة البقرة: 105.
(4) سورة البقرة: 109.

والذي قاد حملة الوضع والكذب في أحاديث رسول الله ﷺ وفي الروايات والسير.. يهودي.. وسائر ما تلا ذلك من الحرب المعلنة على طلائع البعث الإسلامي في كل مكان على وجه الأرض وراءه يهودي!

ولقد كانت الحرب التي شنها اليهود على الإسلام أطول أمدا، وأعرض مجالا، من تلك التي شنها عليه المشركون والوثنيون -على ضراوتها- قديما وحديثا"[1].

لنقف هنا مليا مع سنة الجهاد المتمثلة في مواجهة النبي ﷺ لدسائس اليهود، فأول من دشن حملة العداوة للإسلام والمسلمين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول ﷺوحاربوه يهود بني قينقاع.

ولا ريب أن حادثة بني قينقاع "تدل في جملتها على مدى ما ركب في اليهود من طبيعة الغدر والخيانة، فلا تروق لهم الحياة مع من يجاورونهم أو يخالطونهم إلا أن يبيتوا لهم شرا أو يحيكوا لهم غدراً، وهم على أتم الاستعداد لأن يخلقوا جميع الوسائل والأسباب لذلك"[2].

ومما ينبغي ذكره هنا أن النبي ﷺ لما قفل من بدر منتصرا ومعززا استيقظ الغدر في نفوس يهود بني قينقاع، وأخرجوا ما كانوا يخفونه في صدورهم من الحسد والغل، "إذ خشي اليهود أن تزداد قوة المسلمين، وتهدد بقاءهم بالمدينة، وتناقشوا حول نقض الصحيفة، ومواجهة المسلمين قبل أن تزداد قوتهم"[3]، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، "وأظهروا للمسلمين شرا، وغدروا ببعض نساء الأنصار، فهتكوا حرمتهن"[4].

فلما كثر فسادهم، و"اشتد طغيانهم، وتوسعوا في استفزازهم وبغيهم، فكانوا يثيرون الشغب، ويتعرضون بالسخرية والاستهزاء، ويواجهون بالأذى كل من ورد سوقهم من المسلمين.

---

(1) في ظلال القرآن، 2/ 960 - 961.
(2) فقه السيرة النبوية، للبوطي، ص168.
(3) دراسات في تاريخ الدولة العربية، مصطفى أبو ضيف أحمد، ص144.
(4) عظماؤنا في التاريخ، مصطفى السباعي، ص55.

وعندما تفاقم ظلمهم، وعتوا عتوا كبيرا"[1]، جمعهم سيدنا رسول ﷺ ليحذرهم من مغبة فسادهم وبغيهم، "بسوق بني قينقاع فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل. فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة"[2].

فلما نبذوا "العهد والمرّة أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

فقال رسول الله ﷺ: أنا أخاف بني قينقاع، فسار إليهم بهذه الآية[4] وحاصرهم[5].

وكان أمر بني قينقاع في شوال "سنة ثلاث من الهجرة"[6]، وكان هؤلاء اليهود "حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغة"[7].

قال الإمام ابن حزم الأندلسي[8] -رحمه الله- :"وكانوا سبعمائة مقاتل، فيهم ثلاثمائة مدرع، مدرعون بدروع الحديد، ولم يكن لهم زرع ولا نخل، وإنما كانوا تجارا وصاغة، يعملون بأموالهم"[9].

---

(1) سيرة الرسول ﷺ، مصطفى مراد، ص284.

(2) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، 2/ 137. حياة الرسول المصطفى، العميد عبد الرزاق محمد أسود. الروض الأنف، 3/ 224. تاريخ الطبري، 2/ 57. الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، يوسف ابن إسماعيل النبهاني ص45. أنساب الأشراف، 1/ 308.

(3) سورة الأنفال:58.

(4) الطبقات الكبرى، ابن سعد، 2/ 29.

(5) فاستخلف على المدينة "في محاصرته إياهم بشير بن عبد المنذر، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة" سيرة ابن هشام، 3/ 8.

(6) البداية والنهاية، 2/ 354.

(7) الطبقات الكبرى، 2/ 28 – 29.

(8) هو: أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة 384هـ كانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد فيها وانصرف إلى العلم والتأليف، فصار فقيها حافظا يستنبط من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه (المعروف بالمذهب الظاهري)، توفي ببادية لَبْلَة ببلاد الأندلس سنة 456هـ. له عدة مصنفات مفيدة، منها: المحلى بالآثار وهو كتاب في الفقه، والفصل في الملل والنحل، والأحكام، وجوامع السيرة.... تذكرة الحفاظ، 3/ 1146. نفح الطيب، 1/ 364، وفيات الأعيان، 1/ 340.

(9) جوامع السيرة، ص92.

ولم يكتف يهود بني قينقاع بنقض العهد فقط، بل مما زاد الطين بلة، والموقف توترا، الحادثة التي شهدها سوقهم، تلك المرأة من العرب التي قدمت على السوق ببضاعة تريد بيعها، "وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يُريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سَوْءتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ.

وكان يقال لها ذات الفضول. فقال له: أرسلني، وغضب ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً[1] تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤٌ أخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: هم لك"[2].

فلما كان من رأس المنافقين ما كان، قال لهم رسول الله ﷺ – كما يروي أبو جعفر الطبري– : "خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم! فأرسلوهم. ثم أمر بإجلائهم، وغنم الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال –ولم تكن لهم أرضون، إنما كانوا صاغة– فأخذ

(1) قال الإمام السهيلي في معنى ظللا: "مَا حَجَبَ عَنْك ضَوْءَ الشّمْسِ وَصَحْوَ السّمَاءِ، وَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مَشْرِقًا بَسّامًا، فَإِذَا غَضِبَ تَلَوّنَ أَلْوَانًا، فَكَانَتْ تِلْكَ الْأَلْوَانُ حَائِلَةً دُونَ الْإِشْرَاقِ وَالطّلَاقَةِ وَالضّيَاءِ الْمُنْشَرِ عِنْدَ تَبَسّمِهِ" الروض الأنف، 3/ 225.

(2) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، 2/ 49. الروض الأنف، 3/ 225. الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر، ص99 وما بعدها... تاريخ الطبري، 2/ 57. حياة رسول الله ﷺ، محمود شلبي، ص100. كتاب المغازي، للواقدي، 1/ 176. أنساب الأشراف، 1/ 309. مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبد الوهاب، ص118. سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، ص294 – 295. كتاب الجامع في السنن والآداب، القيرواني، ص277.

رسول الله ﷺ لهم سلاحا كثيرا وآلة صياغتهم، وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت"[1].

هذا، ومن المعلوم "أن طوائف اليهود التي عاشت بين العرب كانت عصابات من المرتزقة اتخذت الدين عنوانا لمطامع اقتصادية بعيدة. فلما توهم أن هذه المطامع مهددة بالزوال، ظهر الكفر المخبوء فإذا هو كفر بالله وسائر المرسلين.

ولم يعرف أولئك شرفا في حرب الإسلام ولم يقفهم حد أو عهد في الكيد له فلم يكن بد من إجلائهم، وتنظيف الأرض منهم"[2].

فبإجلائهم"عن المدينة دبّ الأمن والسلام، وأصبحت المدينة قاعدة إسلامية صرف، لأن صوت المنافقين خفت وانمحت كل أساليب الدجل والخديعة، والجدير ذكره أن باقي بطون اليهودية لم تستطع تقديم العون والمساعدة في حصار يهود قينقاع وذلك للخطة المحكمة التي رسمها المسلمون في قتالهم، كذلك ضعفت معنويات يهود بني قينقاع لعدم استحصالهم على تموين خارجي خاصة وإنهم ليسوا على علم بالزراعة"[3].

وما كان ذلك الإجلاء "اعتداء من النبيﷺ، بل كان ذلك لرد اعتدائهم، ولنقضهم للعهد، ولأنهم صاروا جيران سوء، يحق إجلاؤهم ليسلم الناس من فسادهم"[4].

ولما نقض يهود بني قينقاع العهود، وانتهكوا الحرمات، ونبذوا كلمة الحق وراء ظهورهم، حصدتهم سنة الله، وحقت عليهم كلمة العذاب: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾[5]"[6].

لما حل بهم الانتقام لم ينفعهم الندم، وبرَّح بهم الألم.

---

(1) تاريخ الطبري، 2/ 58. محمد ﷺ محاولة لفهم السيرة النبوية، مصطفى محمود، ص44.
(2) فقه السيرة للغزالي، ص262.
(3) أطماع اليهود وأسفارهم، فؤاد حسين مزنّر، ص122 – 123.
(4) خاتم النبيين، 2/ 816.
(5) سورة آل عمران:12.
(6) قال ابن اسحق يروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم". الروض الأنف، 3/ 224 – 225.

ولم يكتف اليهود بنقض العهود وهتك الحرمات، بل قاموا بالتحريض على قتل النبيﷺ، قام بهذه الجريمة النكراء شاعرهم كعب بن الأشرف[1]- الذي كان أشد اليهود حقدا وحنقا على الإسلام وأشدهم إيذاء للنبيﷺ، الذي ذهب إلى مكة بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى، ليحرض قريش بأشعاره وبهجائه للنبي وبمدحه ﷺلقريش على الثأر من أهلها ببدر، وقتل النبيﷺ.

يروي موسى بن عقبة - صاحب أصح المغازي- عن ابن شهاب قصة[2] قتل ابن الأشرف بطولها نذكرها لأهميتها:"وكان كعب بن الأشرف وهو أحد بني النضير وقيمهم قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء، فقال له أبو سفيان أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ فإنا نطعم الجزور الكوماء[3]، ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال. فقال ابن الأشرف: أنتم أهدى سبيلا.

ثم خرج مقبلا قد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله ﷺ معلنا بعداوة رسوله الله ﷺ وهجائه فقال رسول الله ﷺ: من لنا من ابن الأشرف قد استعلن بعداوتنا وهجائنا، وخرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا قد أخبرني الله عز وجل بذلك ثم قدم على أخبث ما كان ينتظر قريشا أن يقدم فيقاتلنا معهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ على المسلمين ما أنزل الله فيه:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾[4]وآيات في قريش معها.

---

(1) هو: كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، حليف بني النضير، وأمه عقيلة بنت أبي الحقيق. وكان أبوه أصاب دما في قومه، فأتى المدينة وكان كعب طوالا جسيما، ذا بطن وهامة ضخمة. وهو الذي قال يوم بدر: بطن الأرض خير من ظهرها، هؤلاء ملوك الناس وسرواتهم -يعني قريشا- حتى أصيبوا. فخرج إلى مكة، ونزل على أبي بن ضبيرة، وجعل يهجو المسلمين. أنساب الأشراف، 1/ 284.

(2) وقد روى الإمام البخاري في صحيحه هذه القصة مختصرة ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "(من لكعب بن الأشرف، فإنه آذى الله ورسوله) قال محمد بن سلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟ قال: (نعم) . قال: فأتاه فقال: إن هذا - يعني النبي ﷺ قد عنَّانا وسألنا الصدقة، قال: وأيضا، والله لتَمَلَّنَّهُ، قال: فإنا قد اتبعناه فنكره أن ندعَهُ، حتى ننظر إلى ما يصير أمرُهُ، قال: فلم يزل يكلِمُهُ حتى استمكن منه فَقَتَلَهُ". كتاب الجهاد والسير، باب الكذب في الحرب، ح3031.

(3) الجزور الكوماء: وهي الطَّويلة السَّنام والكَوَمُ عِظَم في السنام. لسان العرب، مادة: كمى.

(4) سورة النساء:51.

وذكر لنا والله أعلم أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت. فقال محمد بن مسلمة[1]: أنا يا رسول الله أقتله، فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقام محمد بن مسلمة إلى أهله، فلقي سلكان بن سلامة[2] في المقبرة عامدا إلى رسول الله ﷺ فقال له محمد بن مسلمة: إن رسول الله ﷺ قد أمرني بقتل ابن الأشرف وأنت نديمه في الجاهلية ولم يكن يأمن غيرك فأخرجه إلي أقتله. فقال له سلكان: إن أمرني فعلت.

فرجع معه محمد بن مسلمة إلى رسول الله ﷺ فقال: سلكان: يا رسول الله أمرت بقتل كعب بن الأشرف؟ قال: نعم، قال سلكان: يا رسول الله فحللني فيما قلت لابن الأشرف، قال: أنت في حل مما قلت. فخرج سلكان، ومحمد بن مسلمة وعباد بن بشر بن وقش[3] وسلمة بن ثابت بن وقش[4] وأبو عبس بن جبر[5] حتى آتوه في ليلة مقمرة،

(1) هو: محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الأوسي الحارثي، أبو عبد الرحمن المدني حليف بني عبد الأشهل، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة في قول الواقدي، وهو ممن سمي في الجاهلية محمدا، وقيل يكنى أبا عبد الله وأبا سعيد والأول أكثر، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، وشهد المشاهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك فإنه تخلف بإذن النبي ﷺ له أن يقيم بالمدينة، وكان ممن ذهب إلى قتل كعب بن الأشرف وإلى بن أبي الحقيق، وقال بن عبد البر كان من فضلاء الصحابة واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وكان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، قال الواقدي: مات بالمدينة في صفر سنة 46 وهو ابن 77 سنة، وأرخه المدائني سنة 43 وقال ابن أبي داود: قتله أهل الشام. الإصابة، ترجمة رقم: 7811، 6/ 33.

(2) هو: أبو نائلة الأنصاري اسمه سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي أخو سلمة بن سلامة بن وقش وقيل اسمه سعد وقيل سعد أخوه وقيل سلكان لقب واسمه سعد وهو مشهور بكنيته، شهد أحدا وغيرها وكان شاعرا ومن الرماة المذكورين. الإصابة، ترجمة رقم: 10630، 7/ 409.

(3) هو: عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا قال: واستشهد باليمامة وهو بن 45 وكان ممن قتل كعب بن الأشرف. الإصابة، ترجمة رقم: 4458، 3/ 611.

(4) هو: سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ذكره بن إسحاق فيمن شهد بدرا واستشهد بأحد. الإصابة، ترجمة رقم: 3368، 3/ 144.

(5) هو: أبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، قيل: كان اسمه في الجاهلية عبد العزي وقيل معبد فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن، وقال المدائني: مات سنة أربع وثلاثين وهو بن سبعين سنة وصلى عليه عثمان. الإصابة، ترجمة رقم: 10218، 7/ 266.

فتواروا في ظلال جذور النخل، وخرج سلكان فصرخ، يا كعب: فقال له كعب: من هذا؟ فقال له سلكان: هذا أبو ليلى يا أبا نائلة، وكان كعب يكنى أبا نائلة، فقالت امرأته: لا تنزل يا أبا نائلة إنه قاتلك، فقال: ما كان ليأتيني إلا بخير، لو يدعى الفتى لطعنة أجاب.

فخرج كعب فلما فتح باب الربض قال: من أنت؟ قال: أخوك، فطأطئ لي رأسك فطأطأه فعرفه فنزل إليه فمشى به سلكان نحو القوم، وقال له سلكان: جئنا وأصابتنا شدة مع صاحبنا هذا، فجئتك لأتحدث معك ولأرهنك درعي في شعير. فقال له كعب: قد حدثتك إنكم ستلقون ذلك ولكن نحن عندنا تمر وشعير وعبير فأتونا قال: لعلنا أن نفعل، ثم دخل سلكان يده في رأس كعب ثم شمها فقال: ما أطيب عبيركم هذا؟ صنع ذلك مرة أو مرتين حتى أمنه، ثم أخذ سلكان برأسه أخذة نَصَّلهُ منها، فجأر عدو الله جأرة رفيعة، وصاحت امرأته وقالت: يا صاحباه فعانقه سلكان وقال: اقتلوني وعدو الله فلم يزالوا يتخلصون بأسيافهم حتى طعنه أحدهم في بطنه طعنة بالسيف خرج منها مصرانه وخلصوه إليه فضربوه بأسيافهم وكانوا في بعض ما يتخلصون إليه وسلكان معانقه أصابوا عباد بن بشر في وجهه أو رجله ولا يشعرون.

ثم خرجوا يشتدون سراعا حتى إذا كانوا بجرف بعاث فقدوا صاحبهم ونزف الدم فرجعوا أدراجهم فوجدوه من وراء الجرف، فاحتملوه حتى أتوا به أهلهم ليلتهم، فقتل الله عز وجل ابن الأشرف بعداوته الله ورسوله وهجائه إياه وتأليبه قريشا وإعلائه عليه قريشا بذلك"[1].

فلما قتل كعب بن الأشرف خاف اليهود خوفا شديدا، "فلم يطلع أحد من عظمائهم، وبذلك العمل الجريء أخرس رسول الله ﷺ ألسنتهم، ورد كيدهم إلى نحورهم، وكبت حقدهم في صدورهم دون أن تراق دماء كثيرة، فالمجرم المحارب نال جزاءه وعقابه العادل والذي أصبح عبرة وعظة لمن تسول له نفسه من اليهود، أو المشركين في المدينة القيام بمثل ما فعل" [2].

(1) المغازي، ابن عقبة، ص180 – 182. كتاب المغازي، الواقدي (تحقيق: مارسْدن جُونس)، 1/ 176.
(2) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، بريك العمري، ص150 – 151.

فبعد إجلاء بني قينقاع، ومقتل ابن الأشرف الذين كانوا يجاهرون المسلمين بالحق والعداوة والدس والمؤامرة، هدأت مؤقتا ظواهر شراذم يهود بني النضير وبني قريظة في المدينة والتزموا السكوت، لكن بواطنهم وما يجول في غياهب نفوسهم ما زالت تتربص بالمسلمين الدوائر، وتُكِنُّ لهم العداوة والبغضاء، فما فتئت نار عداواتهم أن أضرمت من جديد، فخرجت من الباطن إلى الظاهر، وأخرجت أفعى الغدر رأسها من أخبث جحورها، فدبرت مكيدة خسيسة للتخلص من النبي الخاتم ﷺ فأرادوا أن يلقوا عليه صخرة من أعلى حصنهم فتقتله، فبعد الابتلاء الذي ابتلي به المسلمون في غزوة أُحُد بدأ يهود بني النضير يتجرؤون على رسول الله ﷺ، لكن رسول الله ﷺ قابل تجرؤهم بالصبر، لكن لم يزدهم ذلك إلا خسة ووقاحة وجسارة، فقاموا بمؤامرة جريئة تهدف إلى القضاء على سيد الوجود سيدنا وسندنا رسول الله ﷺ، وهذا يدل على خبثهم وجبنهم، يفرون من المواجهة، ويكيدون المكائد، وقد تحالف معهم رأس النفاق ابن أبي، فحرضهم على عدم الخروج وغرهم أنه معهم، فتمسك الباطل بباطل آخر، وحقت عليهم كلمة العذاب.

فكانت خيانتهم و نقضهم للعهود، وغدرهم، ومكرهم وخداعهم، هو سر اللعنة الإلهية التي حاقت بهم منذ القديم إلى يوم القيامة.سببا لإجلائهم، ﴿ ...**وَمَاظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾** ﴾[1].

يذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني سبب إجلائهم في الفتح، يقول: "وَرَوَى اِبْن مَرْدُوَيْهِ قِصَّة بَنِي النَّضِير بِإِسْنَادٍ صَحِيح إِلَى مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عَبْد اللَّه بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْب بْن مَالِك عَنْ رَجُل مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ قَالَ : كَتَبَ كُفَّار قُرَيْش إِلَى عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ وَغَيْره مِمَّنْ يَعْبُد الْأَوْثَان قَبْل بَدْر يُهَدِّدُونَهُمْ بِإِيوَائِهِمْ النَّبِيّ ﷺوَأَصْحَابه، وَيَتَوَعَّدُونَهُمْ أَنْ يَغْزُوهُمْ بِجَمِيعِ الْعَرَب، فَهَمَّ اِبْن أُبَيّ وَمَنْ مَعَهُ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَاهُمْ النَّبِيّ ﷺفَقَالَ: مَا كَادَكُمْ أَحَد بِمِثْلِ مَا كَادَتْكُمْ قُرَيْش، يُرِيدُونَ أَنْ تُلْقُوا بَأْسَكُمْ بَيْنكُمْi، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ عَرَفُوا الْحَقّ فَتَفَرَّقُوا. فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَة بَدْر كَتَبَتْ كُفَّار قُرَيْش بَعْدهَا إِلَى الْيَهُود: أَنَّكُمْ أَهْل الْحَلْقَة وَالْحُصُون، يَتَهَدَّدونَهُمْ، فَأَجْمَع بَنُو النَّضِير عَلَى الْغَدْر، فَأَرْسَلُوا

(1) سورة آل عمران: من الآية117.

إِلَى النَّبِيّ ﷺ : اُخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثَة مِنْ أَصْحَابك وَيَلْقَاك ثَلَاثَة مِنْ عُلَمَائِنَا، فَإِنْ آمَنُوا بك اتَّبَعْنَاك. فَفَعَلَ. فَاشْتَمَلَ الْيَهُود الثَّلَاثَة عَلَى الْخَنَاجِر فَأَرْسَلَتْ امْرَأَة مِنْ بَنِي النَّضِير إِلَى أَخ لَهَا مِنْ الْأَنْصَار مُسْلِم تُخْبِرهُ بِأَمْرِ بَنِي النَّضِير، فَأَخْبَرَ أَخُوهَا النَّبِيّ ﷺ قَبْل أَنْ يَصِل إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ، وَصَبَّحَهُمْ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ يَوْمه، ثُمَّ غَدَا عَلَى بَنِي قُرَيْظَة فَحَاصَرَهُمْ فَعَاهَدُوهُ فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ إِلَى بَنِي النَّضِير، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاء وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الْإِبِل إِلَّا السِّلَاح، فَاحْتُمِلُوا حَتَّى أَبْوَاب بُيُوتهمْ، فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ فَيَهْدِمُونَهَا، وَيَحْمِلُونَ مَا يُوَافِقهُمْ مِنْ خَشَبهَا، وَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّل حَشْر النَّاس إِلَى الشَّام"[1].

ويذكر ابن إسحاق سببا آخر لإجلائهم: "وَخَرَجَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى بَنِي النّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ الْعَامِرِيّيْنِ اللّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ. فَلَمّا خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قَالُوا: لَنْ تَجِدُوا مُحَمّدًا أَقْرَبَ مِنْهُ الْآنَ فَمَنْ رَجُلٌ يَظْهَرُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيَطْرَحَ عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحَنَا مِنْهُ؟ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَحّاشِ بْنِ كَعْبٍ: أَنَا، فَأَتَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ الْخَبَرُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِ وَفِيمَا أَرَادَ هُوَ وَقَوْمُهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2]"[3].

وفي رواية أخرى لابن إسحاق:" فَلَمّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللّه ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِك الْقَتِيلَيْنِ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! نُعِينُك عَلَى مَا أَحْبَبْت، مِمّا اسْتَعَنْت بِنَا عَلَيْهِ. ثُمّ خَلَا بَعْضُهُمْ

(1) فتح الباري، 7/ 381. يقول ابن حجر بعدما ذكره القصة:" وَكَذَا أَخْرَجَهُ عَبْد بْن حُمَيْد فِي تَفْسِيره عَنْ عَبْد الرَّزَّاق، وَفِي ذَلِكَ رَدّ عَلَى ابْن التِّين فِي زَعْمه أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْقِصَّة حَدِيث بِإِسْنَادٍ، قُلْت: فَهَذَا أَقْوَى مِمَّا ذَكَرَ ابْنَ إِسْحَاق مِنْ أَنَّ سَبَب غَزْوَة بَنِي النَّضِير طَلَبَه ﷺ أَنْ يُعِينُوهُ فِي دِيَة الرَّجُلَيْنِ، لَكِنْ وَافَقَ ابْن إِسْحَاق جُلّ أَهْل الْمَغَازِي، فَاَللَّه أَعْلَم . وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ سَبَب إِجْلَاء بَنِي النَّضِير مَا ذُكِرَ مِنْ هَمّهمْ بِالْغَدْرِ ﷺ، وَهُوَ إِنَّمَا وَقَعَ عِنْد مَا جَاءَ إِلَيْهِمْ لِيَسْتَعِينَ بِهِمْ فِي دِيَة قَتِيلَيْ عَمْرو بْن أُمَيَّة، تَعَيَّنَ مَا قَالَ ابْن إِسْحَاق، لِأَنَّ بِئْر مَعُونَة كَانَتْ بَعْد أُحُد بِالِاتِّفَاقِ. وَأَغْرَبَ السُّهَيْلِيُّ فَرَجَّحَ مَا قَالَ الزُّهْرِيُّ، وَلَوْلَا مَا ذُكِرَ فِي قِصَّة عَمْرو بْن أُمَيَّة لَأَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي غَزْوَة الرَّجِيع، وَاَللَّه أَعْلَم" . 7/ 381.

(2) سورة المائدة: 11.

(3) سيرة ابن هشام، 3/ 131. الطبقات لابن سعد، 2/ 57. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 2/ 173. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص118 – 119.

بِبَعْض فَقَالُوا: إنّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرّجُلَ عَلَى مثْل حَاله هَذه - وَرَسُولُ اللّه ﷺ إلَى جَنْب جدَار مِنْ بُيُوتهمْ قَاعدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْت فَيُلْقِي عَلَيْه صَخْرَةً فَيُرِيحُنَا منْهُ ؟ فَانْتَدَبَ لذَلكَ عَمْرُو بْنُ جَحّاش بْن كَعْب، أَحَدُهُمْ فَقَالَ: أَنَا لذَلكَ، فَصَعدَ ليُلْقيَ عَلَيْه صَخْرَةً كَمَا قَالَ، وَرَسُولُ اللّه ﷺ في نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابه فيهمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَليّ، رِضْوَانُ اللّه عَلَيْهمْ.

فَأَتَى رَسُولَ اللّه ﷺ الْخَبَرُ منْ السّمَاء بمَا أَرَادَ الْقَوْمُ فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجعًا إلَى الْمَدينَة. فَلَمّا اسْتَلْبَثَ النّبيّ ﷺ أَصْحَابُهُ، قَامُوا في طَلَبه فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبلًا منْ الْمَدينَة، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ: رَأَيْته دَاخلًا الْمَدينَةَ. فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولَ اللّه ﷺ حَتّى انْتَهَوْا إلَيْه ﷺ فَأَخْبَرَهُمْ الْخَبَرَ، بمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ منْ الْغَدْر به وَأَمَرَ رَسُولُ ﷺ بالتّهَيّؤ لحَرْبهمْ وَالسّيْر إلَيْهمْ ثُمّ سَارَ بالنّاس حَتّى نَزَلَ بهمْ . قال ابن هشام: وَذَلكَ في شَهْر رَبيع الْأَوّل[1] فَحَاصَرَهُمْ ستّ لَيَال.

قال ابن إسحاق: فَتَحَصّنُوا منْهُ في الْحُصُون فَأَمَرَ رَسُولُ ﷺ بقَطْع النّخيل وَالتّحْريق فيهَا، فَنَادَوْهُ أَنْ يَا مُحَمّدُ قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنْ الْفَسَاد، وَتَعيبُهُ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ فَمَا بَالُ قَطْع النّخْل وَتَحْريقهَا؟

وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ منْ بَني عَوْف بْن الْخَزْرَج، منْهُمْ (عَدُوّ اللّه) عَبْدُ اللّه بْنُ أُبَيّ ابْن سَلُولَ (و) وَديعَةُ وَمَالكُ بْنُ أَبي قَوْقَل وَسُوَيْدُ وَدَاعسٌ قَدْ بَعَثُوا إلَى بَني النّضير: أَنْ اُثْبُتُوا وَتَمَنّعُوا، فَإنّا لَنْ نُسَلّمَكُمْ، إنْ قُوتلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإنْ أُخْرجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبّصُوا ذَلكَ منْ نَصْرهمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللّه في قُلُوبهمْ الرّعْبَ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللّه ﷺ أَنْ يُجْليَهُمْ وَيَكُفّ عَنْ دمَائهمْ عَلَى أَنّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الْإبلُ منْ أَمْوَالهمْ إلّا الْحَلْقَةَ ففَعَلَ. فَاحْتَمَلُوا منْ أَمْوَالهمْ مَا اسْتَقَلّتْ به الْإبلُ فَكَانَ الرّجُلُ منْهُمْ يَهْدمُ بَيْتَهُ عَنْ نجَاف بَابه فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْر بَعيره فَيَنْطَلقُ به . فَخَرَجُوا إلَى خَيْبَرَ، وَمنْهُمْ مَنْ سَارَ إلَى الشّام "[2]. فبهذا الحكم النبوي العادل[3] قصم ظهر اليهود.

---

(1) قال ابن سعد: "في شهر ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهرا من مهاجره". الطبقات، 2/ 57.

(2) سيرة ابن هشام، 3/ 131. طبقات ابن سعد، 2/ 58. تاريخ الطبري، 2/ 99. غزوات الرسول ﷺ، ابن كثير، 136 - 137. عيون الأثر، لابن سيد الناس (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت)، 2/ 67 - 70. أنساب الأشراف، 1/ 339. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، 4/ 451. حياة رسول الله، محمود شلبي، ص120.

(3) وصدق من قال: "إن عظمة محمد [ﷺ] -على كل المستويات- لم يبلغها إنسان آخر".مقتطف من قصيدة للشاعر الفرنسي لامارتين يمدح فيها النبي ﷺ. فقه الخلافة وتطورها، عبد الرزاق السنهوري، ص272، نقلا عن كتاب لامارتين، تاريخ تركيا، 2/ 276 - 277.

فكان إفساد خطة ما اجتمع عليه أهل الكفر والنفاق آية قرآنية، وسنة إلهية، تعصم النبي ﷺ من الناس، وتظهر حقيقة الحق ومكانته، وأن الله معه، وتظهر كذلك ضَيْعَة الباطل ودسائسه، فكانت نهايتهم كنهاية إخوانهم بني قينقاع ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

فنلخص أسباب إجلائهم إذن، في العناصر الآتية:

١- نقض بنو النضير عهودهم التي تحتم عليهم ألا يؤووا عدوا للمسلمين ولم يكتفوا بهذا النقض بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة .

٢- رفض يهود بني النضير في غزوة أُحد أن يعينوا المسلمين بسلاحهم أو بأموالهم. وقبل المعركة أخذوا يصرفون الناس عن الخروج.

٣- لم يكتف يهود بني النضير بكل ما فعلوه من إضرار بالمسلمين بل حاولوا اغتيال النبي ﷺ"[2].

يقول الحق سبحانه وتعالى في ذلك الإجلاء الذي طهرت فيه المدينة من رجس بني النضير[3] ورجسهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾[4].

فالآيات الكريمة تعلل ما جرى ليهود بني النضير - الذين طحنتهم سنة الله لما فعلوها منكرة-، بأن سببه هو أنهم شاقُّوا الله ورسوله، وتقرر الآية سنة من السنن الإلهية، فكل من شاقَّ الله ورسوله فهو خاسر هالك، سواء كان يهوديا أم مجوسيا، أم من كان. على

(1) سورة الحشر: 15.

(2) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ، أبو بدر آل عابد، 1/ 244 - 246، باختصار.

(3) إجلاء بني النضير ذكرها ابن هشام بعد أحد، قال السهيلي:"وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري، قال: كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر". الروض الأنف، 3/ 373.

(4) سورة الحشر: 2 - 4.

اختلاف الزمان والمكان، وقد وقع ذلك بالفعل، فحصدت هذه السنة يهود بني النضير والكفار السابقين، وتحصد كل من الكفار المعاصرين..﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

وعلاوة على ذلك، فإن اليهود لما عادوا إلى نقض العهود - كانت الكرة عليهم-، وعادت سنة الله عليهم بتشديد العقوبة، يقول الحق جل جلاله: ﴿ ...وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[2].

وبذلك جرت سنة الله في معاقبة المعتدين المستكبرين من اليهود، الذين انهمكوا في أودية الأحقاد والضغائن والعداوة والبغضاء، وطرحوا حشمة الدين، وجنحوا إلى الشيطان وانخرطوا في سلكه، وقنعوا بالحظوظ النفسية الخسيسة، وأصروا على الغي، وقارفوا الجحود، وتعودوا نقض العهود، فعاد ذلك عليهم بالوبال في الدنيا وبالخسران في اليوم الموعود. أولئك الذين نُزعت الصفات الإنسانية من قلوبهم فجُبلوا على المكر والخداع والاحتيال، وأولئك الذين وعدوا بالاحتراق في يوم التلاق، ﴿ ...أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

ثم تشير الآيات من سورة الحشر إلى سنن إلهية أخرى في اليهود، اليهود جبلوا على الجبن منذ القديم: قال الحق جل ذكره: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

فالحديث عن جبن اليهود وخوفهم لا يقتصر على يهود بني النضير الذين نزلت بمناسبة إجلائهم هذه السورة، وإنما هو شامل ليهود زماننا إلى أن يتم نسفهم في اليم نسفا، وها نحن قد نرى اليوم ذلك الجبن والخوف والرعب الذي ملأ كيانهم، إذ يتملصون من المواجهة المباشرة، ولهذا يختبئون خلف (قرى محصنة) معاصرة، تتمثل في قواعدهم

(1) سورة الأحزاب:62.
(2) سورة الإسراء: من الآية8.
(3) سورة محمد: من الآية16.
(4) سورة الحشر.

العسكرية وثكناتهم ومستوطناتهم، كما أنهم يقاتلون (من وراء جدر) معاصرة تتمثل في الجدار العازل[1] الذي بنته إسرائيل لتقاتل من ورائه، وفي الدبابات والمصفحات والطائرات والسيارات العسكرية والمروحيات.

وإذا اضطروا إلى المواجهة المباشرة جبنوا وفروا منهزمين وقد سجل التاريخ المعاصر نماذج كثيرة لا غبار عليها لجبنهم أمام المجاهدين في فلسطين ولبنان وغيرهما.

الصلات الحميمة بين المنافقين واليهود: قال الحق جل وعلا في سورة الحشر: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

وما ذكرته الآيات من تحالف بين اليهود والمنافقين ليس خاصا بذلك التحالف بين يهود بني النضير والمنافقين بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول، وإنما هو عام يشمل كل تحالف وتعاون بينهم حتى قيام الساعة.

وهذا ينطبق على واقعنا المعاصر وعلى الصلات السرية الخفية والعلنية التي يعقدها بعض المنهزمين والخونة الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أمتهم وباعوا دينهم بغرض من الدنيا، فقدموا تنازلات، وأقاموا لليهود دولة في فلسطين، ووالوهم وتحالفوا معهم، وعملوا على تقويتهم، وضحوا بشعوبهم من أجلهم.

ومن الأهمية بما كان أن نشير ولو إشارة خفيفة إلى قول الله تعالى وتقدس: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2]

فى سياق الآية الكريمة يتحدث عن المواجهة بين المسلمين وبين اليهود، تخبرنا بأن

(1) وهذا يدل على إعجاز القرآن الذي أخبرنا بأن اليهود جبناء يفرون من المواجهة المباشرة بالقتال من وراء جدر، والجدار العازل الذي بنته إسرائيل لدليل صريح على معجزة القرآن وإعجازه الذي أخبرنا منذ 15 عشر قرنا عن ذلك.

(2) سورة آل عمران: من الآية 111.

اليهود مهما نوعوا في أساليبهم وخططهم للقضاء على المسلمين فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، وتخبر الآية الكريمة أن ما ينزلونه من أذى وقتل وتشريد وفتك وتدمير مجرد أذى سطحي ظاهري، يمكن احتماله وتحمله بالتؤدة والصبر وبالجهاد حتى يتحقق النصر.

استنبطت هذه السنن الأخيرة ظهر يوم الثلاثاء 25 صفر الخير 1429 هجرية[1] وقد مضت سبعة أيام على الحملة الشرسة الحاقدة التي شنها الصهاينة الغاصبون على قطاع غزة وقد أمطروه بوابل من الصواريخ الفتاكة، والقنابل السامة المحرمة دوليا، وقد بلغت حصيلة الشهداء بعد سبعة أيام 125 شهيدًا و355 جريحًا. هذا إضافة إلى هدم المنازل وتخريب المرافق العمومية، والمجاهدون رغم قلة العدة المادية فإنهم لم يستسلموا للعدو الغاصب بل قاوموه بصواريخهم وقنابلهم القريبة المدى، وقاومه الأطفال بالحجارة، حتى أخرجوه من أراضيهم يجر أذيال الخيبة والخسران ويتجرع غصص الهزيمة المرة، ينكب على أعقابه القهقرى، واكتفى بالقتال من وراء جدر من طائرات ودبابات.

وهنا نقول لليهود: إن ما توعدون لآت وتربصوا حتى تأتي الطاحنة التي تطحنكم وتجعلكم أثرا بعد عين، فنحن منتظرون تحقيق ما وعدنا الله به من الغلبة عليكم والانتصار عليكم وإساءة وجوهكم، واستئصال جذوركم، ومحو دولتكم من الوجود، فعمركم في الأرض المقدسة قصير، وستعود فلسطين إلى المسلمين بإذن الله تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾[2] لكن لابد من ولوج أبواب الجهاد كلها حتى تحقيق النصر.

وعليه، فإن جوهر القضية، مما سبق ذكره من مكائد اليهود الكثيرة، هو أن يأخذ المسلمون حذرهم وحيطتهم من هذه الطائفة المفسدة في الأرض، والتي يأبى طبعها اللئيم وسجيتها السافلة إلا أن ينكث العهود ويغدر كلما سنحت لها الفرصة بذلك، وأن يحموا أنفسهم منهم، ولا يركنوا إليهم، "وأن يقفوا منهم موقف مراقب العدو المخالط، جار السلم والحرب، الذي يدس الدسائس، ويتحين الفرص، وينتهز الغرّات، ليوقع بعدوه النكاية البالغة.

(1) وافق 04 مارس 2008.
(2) سورة المعارج.

كما تعطينا أحداثهم هذه مجموعة من العبر والعظات التي يجب التبصر بها، والعمل بما تمليه علينا من سلوك نسلكه في مواجهة اليهود في كل عصر، وفي مواجهة من هم أمثال اليهود في صفات الكيد والمكر والحيلة، والنفاق والخبث ونقض العهد والخيانة والغدر، وأمثال هذه الرذائل التي عرف اليهود بها في مختلف أدوار التاريخ.

والأمة التي لا تستفيد من تجارب من سبقها ولا تتعظ بعظات هذه التجارب أمة غير مؤهلة للتقدم، ولا تأخذ بأسباب الرقي، بل تظل تتعثر في تجاربها الخاصة، وتتخبط في غشاوتها، بينما يحرز غيرها السبق في المبتكرات الحديثة المضافة إلى مواريث الأولين"[1].

هذا وتبين لنا من سبق ذكره أن اليهود أهل غدر ومكر وخيانة وحيلة، إنهم أهل غضب ولعنة من الله، نقضوا العهود، وعاثوا في الأرض فسادا، وهلكوا الحرث والنسل، واستحلوا محارم الله بأدنى الحيل فلعنهم وجعل منهم القردة والخنازير، وتوعدهم إن عادوا إلى مثل ذلك بأن يبعث عليهم عبادا له أولي بأس شديد، يذيقونهم العذاب الشديد، ويستأصلونهم من جذورهم، جزاءً وفاقًا، وهاهم قد عادوا مرة ثانية إلى نقض العهود وسفك الدماء وقتل الأبرياء واغتصاب الأرض، لا جرم أن تعود عليهم سنة الله بإخراجهم من الأرض التي اغتصبوها أذلة صاغرين، خاسرين هالكين، على أدبارهم خائبين، فيقتلون شر قتلة في الدنيا وفي الآخرة الخزي والعذاب الأليم، وهكذا اقتضت سنة الله المطردة بإنزال العقوبة بهم، وتعذيبهم وإساءة وجوههم إذ الجزاء من جنس العمل.

(1) مكائد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص126.

المبحث الثالث
سنة الجزاء من جنس العمل
في معاقبة اليهود

سنة الجزاء من جنس العمل في معاقبة اليهود

إن الجزاء من جنس العمل سنة من السنن الإلهية في هذا الكون، ولهذا أخبرنا ربنا تبارك وتعالى في كثير من الآيات القرآنية، أنه يعامل خلقه بجنس عملهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[1].

وقال تعالى وتقدس: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[2].

وقال الحق جل في علاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

وقد نص على ذلك في أكثر من مائة موضع، نحو قوله تعالى: ﴿ ....فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[4].

وقوله جل ذكره: ﴿ ...يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ... ﴿٢٣﴾ ﴾[5].

وقوله جل ثناؤه: ﴿ ...وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ...﴿٤٣﴾ ﴾[6].

وهذا مظهر من مظاهر العدل الإلهية في الدنيا والآخرة.

وعلى هذا الأساس ندرس هذه السنة الإلهية (الجزاء من جنس العمل) التي حصدت يهود بني قريظة في المدينة.

وهنا يمكن القول: فبالرُّغم من الخسائر التي حلت باليهود من جرَّاء خياناتهم المتوالية، ونقضهم للعهود، وتأليبهم لقوى الشر على المسلمين، وحربهم ضد رسول الله ﷺ

(1) سورة النساء: 123.
(2) سورة الزلزلة: 7 – 8.
(3) سورة يونس: 44.
(4) سورة الفتح: من الآية 10.
(5) سورة يونس: من الآية 23.
(6) سورة فاطر: من الآية 43.

وأصحابه، "إلا أنهم لم يهدءوا ولم يستكينوا، ولم يجنحوا للسلم، بل ظلوا يرسمون الخطط ويحيكون المؤامرات لزعزعة أركان الدولة الإسلامية في المدينة، والقضاء على الدعوة في مهدها، وكان يهود بني النضير، الذين أخرجوا من ديارهم مُكرهين والتجأوا إلى خيبر، أشد الناس عداوة للإسلام وأهله، وقد امتلأت نفوسهم حقداً وغيظا ضد رسول الله ﷺ وأصحابه، فلم يتركوا فرصة واحدة تسنح لهم إلا واستغلوها لإشعال نار الحرب في يثرب وخارجها.

وكان هؤلاء اليهود يعلمون أن قريشا ومن حولها من قبائل الشرك، كارهين لهذه الدعوة، ليس فيهم إلا من يناوئها ويود القضاء عليها، وإن اختلفت بينهم الأسباب وتنوعت معهم المقاصد. وصمم بنو النضير أن يجمعوا هذه القبائل وأن يؤلفوا بينها، وأن يشكلوا منها كتلة واحدة ينقضُّون بها على محمد وصحبه، فيضربونهم ضربة رجل واحد، فيقضون عليهم قضاء مبرما... ثم ينتهون من أمرهم إلى الأبد"[1].

فتحرك "الشر في نفوس اليهود، وتفجر الغيظ، بعد جلاء بني النضير عن المدينة إثر خيانتهم ونقضهم عهودهم مع المسلمين، وخاصة زعماء بني النضير الذين ارتحلوا إلى خيبر إذ رأوا أن الإسلام يقوى وتتعمق جذوره، وكلما حاولت فئة اقتلاعه خابت في مسعاها، وردت خائبة، وازدادت قوة الإسلام، لذا حاول زعماء اليهود تحزيب الأحزاب وجمع قوى الشر كتلة واحدة والتوجه إلى المدينة واقتلاع الإسلام من جذوره والانتهاء من أمره، لقد تحرَّك زعماء اليهود هؤلاء إلى مكة وعرضوا الفكرة على قريش فوجدوا أُذُنا صاغية وتجاوباً كبيراً فضربوا موعداً للتوجه إلى المدينة لا يُخلفه هؤلاء ولا هؤلاء..."[2].

ومن النفر الذين حزَّبُوا الأحزاب، "سلام بن أبي الحُقَيْق، وسلام بن مِشْكَم، وكنانة بن الربيع، اجتمعوا بأشراف قريش، وألّبوهم على حرب النبي ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة. فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا"[3]؛ ثم باقي القبائل حتى كان عددهم قريبا من عشرة آلاف.

(1) التاريخ السياسي والعسكري، علي معطي، ص309.
(2) التوجيه والتقويم خلال التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ص27.
(3) عمدة التفسير (مختصر ابن كثير)، 3/ 33.

واستعمل ذلك الوفد من زعماء اليهود المبعوث إلى مكة لإشعال نار الحرب على المسلمين والتحريض على قتالهم واستئصالهم، كل ما كان في وسعه من وسائل خسيسة، وحيل شيطانية، وخطط ماكرة، حتى سر قريش قول اليهود، ونشطوا للحرب، فلما انتهى الوفد اليهودي "مهمته رجع إلى المدينة يظهر المودة للمسلمين"[1].

ذَمَرَ الشيطان حزبه - يهود بنو قريظة- على نقض العهد فاستجابوا له، فكان "لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وهم قريب ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حُيي بن أخطب النَّضري اليهودي، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالؤوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فعظُم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال"[2].

هكذا تواصلت "خياناتهم، ومساعيهم لجمع كلمة الشرك والوثنية ضد التوحيد الإسلامي ودولته وأمته، عارضين ثمار مزارع خيبر على قبائل الشرك كي تأتي فتقضي على دولة الإسلام.. بل لقد ذهبوا -في هذه المساعي- إلى الحد الذي شهدوا فيه -وهم أهل الكتاب- أن الشرك والوثنية أفضل من التوحيد الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين!!.."[3].

إن موقف اليهود يوم الأحزاب ينم عن حقد دفين وكره للإسلام والمسلمين، ظانين أنها بداية الشرارة لحرب شعواء، يكون مآل المسلمين فيها الإبادة والقتل. ولكن ربنا كبتهم، وردهم على أعقابهم خاسرين، وصار كيدهم في نحورهم، وتدبيرهم في تدميرهم، أعز الله جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، وكان موعد بني قريظة قطع رؤوسهم وسبي نسائهم وذراريهم، وذلك جزاء الماكرين.

ونخلص من ذلك إلى أن رجال بني قريظة لم يكونوا "سوى مجرمي حرب، وفق قوانين القتال المعاصرة، نقضوا العهد، وانضموا إلى الأعداء والحرب قائمة بين المسلمين

---

(1) الجهاد والنصر، عبد الحليم محمود، ص109.

(2) عمدة التفسير (مختصر ابن كثير)، 3/ 33.

(3) "موقف الإسلام من اليهودية، وموقف اليهودية من الإسلام"، مقال لمحمد عمارة، المنشور في مجلة المنهل الصادرة عن دائرة المنهل للصحافة والنشر المحدودة، السعودية، العدد594، المجلد 66، العام 70، ذو القعدة وذو الحجة 1425هـ، ديسمبر 2004م، ويناير 2005م، [62 - 69]، ص66.

والأحزاب. فكان نقضهم خيانة عظمى، ولم يكن عقابهم العادل المكافئ لفعلتهم سوى القتل. وقد أنزلوا من حصونهم مقرنين في الأصفاد، وحفرت لهم الخنادق، ثم جيء بهم فوجا فوجاً حيث لاقوا مصيرهم ودفنوا هناك"[1].

فكان "من الطبيعي أن يرد حاكم المدينة محمد ﷺ وهو النبي الملهم، على مواقف اليهود العدوانية، وذلك لحماية المسلمين والعقيدة الإسلامية من دسائسهم ومؤامراتهم، فلا غرو في هذا، فالعقيدة الإسلامية هي أغلى ما يعتز به المسلمون، وأعز ما يحرصون عليه في حياته، لأنها خلاصهم في الحياة الدنيا والآخرة"[2].

يحكي ابن هشام في سيرته، غزوة بني قريظة[3]، نوردها هنا بالتفصيل لتتبين سنة الله في معاقبة اليهود، يقول ابن هشام:" فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثني الزهري، معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذنا، فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة"[4].

قال ابن إسحاق: "وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس. فسار علي بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال يا رسول الله لا عليك أن

(1) دراسة في السيرة النبوية، عماد الدين خليل، ص-289 290.

(2) التاريخ السياسي والعسكري، ص184.

(3) عن ابن عمر رضي الله عنهما، "أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير، وأقرَّ قريظة ومنَّ عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم: بني قينقاع (وهم قوم عبد الله بن سلام)، ويهد بني حارثة، وكل يهودي كان بالمدينة". صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، ح62 - 1766.

(4) سيرة ابن هشام، 3/ 167 - 168. جوامع السيرة، 114 - 115. طبقات ابن سعد، 2/ 74. إمتاع الأسماع، المقريزي، 1/ 141. أنساب الأشراف، البلاذري، 1/ 347.

لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا.

ومر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصَّوْرَين -موضع قرب المدينة- قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: هل مر بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي، على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج. فقال رسول الله ﷺ: (ذلك جبريل، بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم) ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنا.

قال ابن إسحاق: وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة، فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم، وأبوا أن يصلوا، لقول رسول الله ﷺ حتى تأتوا بني قريظة. فصلوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة[1]، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم. قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيها شئتم قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل

(1) وهذا ما ذهب إليه ابن سيد الناس في مدة حصارهم. عيون الأثر، 2/ 94. وخالفهم البلاذري في فتوح البلدان، قال:"حاصر -أي النبيﷺ- بني قريظة خمس عشرة ليلة من ذي القعدة وذي الحجة". ص23. وقال الواقدي:"سار إليهم النبي ﷺ يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يوما، ثم انصرف يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس". المغازي (تحقيق: مارسْدن جُونس)، 2/ 296.

به غيره، قال: فإذا أبيتم علي هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك، نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم علي هذه، فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا : نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما"[1].

فلما أصبح الصباح، ما كان عليهم إلا أن ينزلوا "على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت .قال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: فذاك إلى سعد بن معاذ[2]. وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رُفيدة[3]، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب. فلما حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته

(1) سيرة ابن هشام، 3/ 169.

(2) هو: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس، وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة، ويكنى أبا عمرو، شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم في بني قريظة وأجيبت دعوته في ذلك ثم انتقض جرحه فمات أخرج ذلك البخاري وذلك سنة خمس، الإصابة، ترجمة رقم: 3206، 3/ 84.

(3) هي: رفيدة الأنصارية أو الأسلمية. الإصابة، ترجمة رقم: 11175، 7/ 646.

التي سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ: (قوموا إلى سيدكم). فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له، فقال رسول الله ﷺ: نعم؟ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء.

فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"[1].

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد، رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة. وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ[2].

---

(1) سيرة ابن هشام، 3/ 171 – 172. جوامع السيرة، ابن حزم، ص116. طبقات ابن سعد، 2/ 75. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، 2/ 294. تاريخ الطبري، 2/ 119 – 120. المغازي، لابن عقبة، ص225 – 226. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص131 – 132. المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، ص310 – 311. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري بك، ص118. حياة رسول الله، محمود شلبي، ص127.

(2) أما النساء، فقتلت منهم امرأة واحدة، قال ابن هشام:"التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد، فقتلته". سيرة ابن هشام، 3/ 173.
قال ابن حزم: "فكان فتح قريظة في آخر ذي القعدة متصلا بأول ذي الحجة في السنة الرابعة من الهجرة . واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، من بني الحارث ابن الخزرج، طرحت عليه امرأة من بني قريظة احى فقتلته. ومات في الحصار: أبو سنان بن محصن ابن حرثان الأسدي، أخو عكاشة بن محصن، فدفنه النبي ﷺ في مقبرة بني قريظة التي يتدافن فيها المسلمون السكان بها اليوم. ولم يصب غير هذين". جوامع السيرة، ص117 – 118.

وأتي بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة له فقاحية[1] (تضرب إلى الحمرة) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة (أنملة) لئلا يُسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه"[2].

أراد يهود بني قريظة حصد جمع المسلمين، فحصدتهم سنة الله الواردة في قوله جل ذكره: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

"كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل"[4]

وبانتهاء هذه الغزوة" تخلص مجتمع المدينة من العناصر الفاسدة التي رفضت الاندماج فيه، وتطهرت صفوف المسلمين من عدو داخلي شديد المراس"[5] وأراح الله جل وعلا الإسلام والمسلمين "من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة[6]،ولم تبق مهم إلا ثُفالة من اليهود كثفالة القدر بخيبر مع أهلها، قذف الله في قلوبهم الرعب، وركبهم الذل والخزي حتى خرجوا من المدينة صاغرين.

لما استأصل سيدنا رسول الله ﷺ شر يهود بين قريظة من جذوره، بتنفيذ حكم الله فيهم، وقطع شجرة ابن الأشرف من أصولها، على يد رجال من الأوس، بقيت شجرة الزقوم المتجلية في ابن أبي الحقيق أبو رافع سلام وكان " ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ، و لم يقتل مع بني قريظة كما قتل صاحبه حيي بن أخطب، رغبت الخزرج في قتله طلباً لمساواة الأوس في الأجر. وكان الله سبحانه قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي

(1) قال ابن هشام: فقاحية ضرب من الوشي. سيرة ابن هشام، 3/ 173.
(2) المصدر نفسه، 3/ 173.
(3) سورة الأحزاب:25.
(4) ديوان الأعشى، لميمون بن قيس الأعشى، قصيدة: ودع هريرة، ص: 148.
(5) التاريخ الإسلامي، علي معطي، ص201.
(6) نور القين، ص177.

رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنوا رسول الله في قتله فأذن لهم، فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة و هم: عبد الله بن عتيك[1] و هو أمير القوم بأمره ﷺ، و عبد الله بن أنيس[2]، و أبو قتادة الحارث بن ربعي[3]، و مسعود بن سنان[4]، و خزاعي بن أسود[5]، حليف لهم. فنهضوا حتى أتوه في خيبر في دار له جامعة، فنزلوا عليه ليلاً فقتلوه و رجعوا إلى رسول الله ﷺ، كلهم ادعى قتله، فقال : (أروني أسيافكم) فلما أروه قال لسيف عبد الله بن أنيس: (هذا قتله أرى فيه أثر الطعام). وكان عبد الله بن أنيس قد اتكأ عليه بالسيف حتى سمع صوت عظم ظهره، و عدو الله يقول: قطني قطني، يقول: حسبي"[6].

وبهذا "العمل الجريء الشجاع تم القضاء على مجرم حرب خطير كان له دور بارز ومميز في تحزيب الأحزاب ضد المسلمين، فنال بذلك القصاص العادل الذي يستحقه

---

(1) هو: عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مري بن كعب بن غنم بن سلمة بن الخزرج الأنصاري كذا نسبه بن الكلبي وخليفة وابن حبيب وهو أخو جبر بن عتيك، قال البغوي: بلغني أن عبد الله ابن عتيك قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة. الإصابة، ترجمة رقم: 4819، 4/ 167.

(2) هو: عبد الله بن عامر بن أنيس بن المنتفق بن عامر العامري وقيل عبد الله بن أنيس بحذف عامر. الإصابة، ترجمة رقم: 4775، 4/ 137.

(3) هو: أبو قتادة بن ربعي الأنصاري المشهور أن اسمه الحارث، وجزم الواقدي وابن القداح وابن الكلبي بأن اسمه النعمان، وقيل: اسمه عمرو وأبوه ربعي هو بن بلدمة بن خُنَاس بن عبيد بن غنم ابن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، وأمه كبشة بنت مطهر بن حرام بن سواد بن غنم، اختلف في شهوده بدرا، فلم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن إسحاق، واتفقوا على أنه شهد أحدا وما بعدها وكان يقال له فارس رسول الله ﷺ، وكانت وفاة أبي قتادة بالكوفة في خلافة علي، وقال الحسن ابن عثمان: مات سنة 40 وكان شهد مع علي مشاهده، وقال خليفة ولاه علي مكة ثم ولاها قثم بن العباس، وقال الواقدي: مات بالمدينة سنة 54 وله 72 سنة، ويقال بن سبعين، وذكره البخاري في الأوسط فيمن مات بين الخمسين والستين. الإصابة، ترجمة رقم: 10405، 7/ 327.

(4) هو: مسعود بن سنان بن الأسود الأنصاري حليف بني سلمة، شهد أحدا واستشهد يوم اليمامة. الإصابة، ترجمة رقم: 7955، 6/ 100.

(5) هو: الأسود بن خزاعي الأسلمي حليف بني سلمة من الأنصار، وسماه بن إسحاق خزاعي بن الأسود، وقال الطبري: شهد الأسود بن خزاعي أحدا، وذكر الواقدي أنه سار مع علي إلى اليمن لما بعثه النبي ﷺ. الإصابة، ترجمة رقم: 154، 1/ 71.

(6) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير، ص81. سيرة ابن هشام، 3/ 201 – 203. المغازي، لابن عقبة، ص229.

بالفعل، فلو أراد الله عز وجل ونجحت مخططات الأحزاب لكان في ذلك القضاء المبرم على المسلمين ولكن الله سلّم، وفشلت مخططاتهم وهزمهم الله وحده وقتل الله حيي بن أخطب مع بني قريظة، ثم قضى على أبي رافع بمبادرة بطولية من الخزرج فتخلص المسلمون من عدوين خطيرين كان في بقائهما تهديد كبير لأمنهم وسلامتهم"[1].

وباستئصال جذور الشر من المدينة، وتطهير عاصمة الدولة الإسلامية من كيد اليهود، لم يبق هناك خطر يهدد الدولة المسلمة، أو يتآمر عليها، "إنها السياسة الشرعية الحكيمة لتوطيد أركان دولة الإسلام وهو الحكم العدل سواء رضي البشر أم سخطوا"[2].

وهكذا نجد "أن سنة الله في خلقه أن يكون جزاؤهم بجنس ما عملوه، وهذا أمر كوني أقام الله عليه الدنيا والآخرة ليكون قانونا حاكما في المجازاة والمحاسبة، وليس هذا فحسب، وإنما أراد الله عز وجل أن يكون هذا القانون وتلك السنة أمرا شرعيا تكليفيا"[3].

ولذلك كان ما حكم به سيدنا سعد بن معاذ > على بني قريظة هو نفس ما كانت ستفعله الأحزاب بالمسلمين لو انتصرت عليهم، بخيانة وغدر بني قريظة، ولو أن أفاعي بني قريظة تمسكت بعهدها لما أصابها سوء، ولكنهم جبلوا على الغدر والخيانة، "نقضوا ما بينهم وبين النبي ﷺ من العهد، ومالؤوا عليه قريشا، وقاتلوه، وسبُّوه أقبح سب"[4]، فكان الجزاء من جنس العمل. صنعوا خاتمة أمرهم بأيديهم، وحفروا قبورهم، فكانت نهايتهم المحق، والخسران، وهي سنة الله في أهل الغدر والفساد، سنة ثابتة ومطردة، ماضية إلى يوم القيامة، وصدق الله تعالى القائل: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[5].

إنها سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، الجزاء من جنس العمل، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

(1) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص177 - 178.
(2) معالم قرآنية، ص123.
(3) السنن الإلهية، مجدي عاشور، ص263.
(4) كتاب المفهم، تحقيق: عبد الهادي التازي، 1/ 295.
(5) سورة فاطر:43.

ومنذ ذلك اليوم الذي قطع فيه رسول الله ﷺ دابر يهود بني قريظة، "ضعفت حركة النفاق في المدينة، وطأطأ المنافقون رؤوسهم، وجبنوا عن كثير مما كانوا يأتون. وتبع هذا وذاك أن المشركين لم يعودوا يفكرون في غزو المسلمين، بل أصبح هم الذين يغزونهم. حتى كان فتح مكة والطائف. ويمكن أن يقال: أنه كان هناك تلازم بين حركات اليهود وحركات المنافقين وحركات المشركين. وإن طرد اليهود من المدينة قد أنهى هذا التلازم، وإنه كان فارقا واضحا بين عهدين في نشأة الدولة الإسلامية واستقرارها"[1].

وخلاصة القول: إن النبي ﷺ أجلى يهود بني قينقاع من المدينة، لعل باقي اليهود يعتبرون بما وقع لإخوانهم القردة، لكنهم عادوا ليثبتوا أن ديدنهم دس الدسائس وبث الشكوك، وإحياء النُّعرات، فكانت حادثة إجلاء بني النضير، ثم ازدادوا علوا وفسادا وطغيانا كبيرا، ومكر السيئ، فحقت عليهم سنة الله فكان ما حدث لبني قريظة، فهكذا كان مكرهم وكيدهم، أما مكر الله وكيده فهو جزاؤهم على مكرهم. فكان ذلك سنة من السنن الإلهية المطردة الماضية إلى يوم القيامة الحاكمة باستئصال المكذبين، وإهلاك المفسدين، فكان ما أصابهم هو من جنس ما أصاب الأمم الهالكة من قبلهم التي كذبت الرسل، ونقضت العهود، وجحدت بأنعم الله، وهي سنة إلهية في كل مكذب بآيات الله، ومنغمس في الفساد والتجبر والطغيان، وصدق الله جل ذكره القائل: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[2].

والقائل جل وعلا: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]، ﴿ ...فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ...﴿١٠﴾ ﴾[4]

وهذا من أكبر مظاهر عدل الله في خلقه، وميزانه المستقيم في معاملة البشر، وإنها لسنة الله في الجزاء من جنس العمل.

(1) في ظلال القرآن، 5/ 2849.
(2) سورة الأنفال:52.
(3) سورة يونس: من الآية23.
(4) سورة الفتح: من الآية10.

ولله در القائل:

"لِكُلِّ شيء آفةٌ من جنسِهِ حتى الحديدُ سَطَا عليه المِبْرَدُ"[1]

ولهذا، "فقد أدى إغفال هذه السنن، والتقصير المعرفي بها، وعدم التعامل معها بشكل صحيح إلى هدر طاقات ومساعي المسلمين، وتعثر خطواتهم في طريق البناء الحضاري، حتى صاروا غرضا للغزاة ومطمعا للأعداء"[2]، يركضون وراء سراب سلام فاشل مع الأفاعي المسمومة، التي اشتد لسعها، وعظم خطرها، وكثرت مكائدها.

إن الغفلة عن سنة الله، تجعل الإنسان يفقد "ميزاته الأساسية، وأمانته التي حمله الله إياها، والسلطان الذي أعطاه الله تعالى له، لتسخير ما خلق الله له. ويصير هذا الإنسان المكرم في أسفل سافلين، بل يصير نفسه مسخراً للذين يعلمون سنن الله"[3].

(1) تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ط/ 1984م، 22/ 335.

(2) حركة التاريخ في القرآن الكريم، ص228 – 229. سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، صادق عرجون، ص16.

(3) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص225.

المبحث الرابع
وعد اللّه بالإفساد اليهودي الأول

وعد الله بالإفساد اليهودي الأول

يقول الحق جل وعلا في إفساد اليهود في المرة الأولى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾[1].

اختلف أهل العلم في تفسير الآيات السابقة، ما حقيقة المرتين؟ وهل مضى وعدهما، أم لا؟ ومتى تحقق وعد أولاهما؟ ومن المبعوث عليهم في المرة الأولى؟

فالمفسرون من القرون الماضية، الذين لم يكن أمام أعينهم ما نشاهده صباح مساء من الحقائق الباهرة، ومن الفساد الصهيوني في فلسطين السليبة، منهم من فسر المرة الأولى التي أفسد فيها بنو إسرائيل في الأرض عَتوا عُتوا كبيرا حين كذبوا نبي الله إرمياء وقتلوه،، فأرسل الله عليهم بُخْتَنْصَر، وقيل أرسل الله عليهم جالوت فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد، وقيل: جاءهم جند من فارس يتجسسون أخبارهم ومعهم بختنصر فوَعى حديثهم من بين أصحابه، ثم رجعوا إلى فارس ولم يكن قتال، وهذا في المرة الأولى، فكان منهم جوسٌ خلال الديار لا قتل، وقيل: أنه جاءهم بختنصر فهزمه بنو إسرائيل، ثم جاءهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميرا، وقيل: أنهم لما قتلوا نبي الله زكرياء # غزاهم ملك الموصل سنحاريب وجنوده. وقيل حين خالفوا أحكام التوراة...، إلى غير ذلك من الآراء[2].

أما من المعاصرين فقد نحى نحوهم الشيخ الداعية البهي الخولي[3]، يقول بأن فسادهم الأول هو ما اقترفوه من أعمال شنيعة من بعد سيدنا موسى # ، فكانت نهايتهم الأولى على يد بختنصر من جراء ما اقترفوه.

(1) سورة الإسراء: الآيات: 4 – 6.

(2) انظر هذه الآراء في: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 177. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/ 28. المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، 3/ 438. تفسير الكشاف، ص590. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (طبعة:مؤسسة الرسالة)، عند تفسير للآيات 4 – 9 من سورة الإسراء، 17/ 385. معالم التنزيل (تفسير البغوي)، 5/ 76.

(3) انظر كتابه: بنو إسرائيل في ميزان القرآن، ص206 وما بعدها.

"تلك هي المرة الأولى بوعيدها، فقد أفسد القوم بأكل السحت وعبادة الأصنام، كما أفسدوا سياسيا بانقسام دولتهم واتباع سياسة الغَدْر والنفاق، فجاء بختنصر فأزال وجودهم السياسي والاجتماعي، وساق إلى بابل من نُفي منهم، حيث ظلوا هناك حوالي سبعين عاما، وبلادهم مخربة خاوية ليس فيها من يعمرها، وهذا كله يحمل سمات المرة الأولى على ما أنذر القرآن"[1].

وهنا يمكن القول، بأننا كثيرا ما نبني على غير أساس، حينما نغفل سنة الله في عباده، فبفهم سنة الله في الكون، والسير على خطاها، تبني الأمة مستقبلها الزاهر، وتُكَون سماء عالية صافية يتطلع إلى سُموقها الناس فلا يزالون في رقي دائم.

فواجب علينا أن نقرأ التاريخ بمنظار القرآن الكريم وفي ظله ونوره، لتُفتح بصائرنا حتى نفقه سنة الله في الكون ونفهم عن الله، وندرك كنه الأحداث، وبأنها لا تدور في عجلة مفرغة، بل وفق سنة الله وقدره.

فإذا رجعنا إلى الآية الكريمة التي تحدثت عن فساد اليهود في الأرض، التي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾، فعباد لنا: المقصود بهم المؤمنين، فهم من يخضع لله ويعبده حق العبادة، وهم من تحققت هذه البشارة على أيديهم، أما بختنصر فهو رجل وثني وليس مؤمنا، ولا يستحق هذا التشريف الإلهي، وبهذا المنطق القرآني، فلا يجوز أن نعتقد أن بُخْتنصر هو صاحب المرة الأولى.

فالله جل وعلا لا يعطي هذه المنحة لعدو من أعدائه، بل أكرم بها عباده ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾، هم أولو قوة وإيمان ليطهروا الأرض من رجس اليهود الذين تمردوا على كل فضيلة خلقية واجتماعية،فديدنهم النهب والسلب والدس، ولهذا فإن الله جل وعلا جعل القضاء على الجرثومة الخبيثة بيد المؤمنين عباد الرحمن، تكريما للمؤمنين ووفاء بوعده الذي وعدهم إياه، بأن العاقبة لهم.

(1) المرجع نفسه، ص208.

ويمكن الرد على من قال بأن بنوخذ نصر هو من دخل المسجد أول، أو أنه المبعوث عليهم في المرة الآخرة بهذه الحقيقة التاريخية، يقول الدكتور سهيل زكار:"تحدث الملك بنوخذ نصر عن حملاته، واهما الحملة التي قام بها في السنة السابعة من حكمه حيث جاء في النص الذي تحدث عنها: "السنة السابعة شهر كسيليمو (كانون أول) حرك ملك أكاد جيشه إلى أرض حتي Hatti، وحاصر مدينة ياحودو Iaahudu واستولى على المدينة في اليوم الثاني من شهر آذارو، وعين فيها ملكا حسبما ارتضاه، واستولى على غنائم ثقيلة منها، وجلبها إلى بابل "[1]، وطبعا لم يكن اسم القدس في يوم من الأيام ياحدوا، والدراسة المتأنية لنصوص بنوخذ نصر تظهر أنه لم يستول على القدس، ولم يدخل فلسطين إلا مرة واحدة، جرى صده من قبل الجيوش المصرية، ويقينا لم يكن هناك سبي ليهود من القدس إلى بابل، لأن اليهود لم يكونوا قد ظهروا على مسرح التاريخ، يضاف إلى هذا أن الحفريات الأثرية أظهرت أن القدس كانت مدينة مزدهرة عامرة في التاريخ الذي قيل بأنها تعرضت فيه للخراب على أيدي جيوش بنوخذنصر، لكن هذه المدينة أخذت تتراجع لتصبح شبه قرية، وكان ذلك بعد أكثر من نصف قرن، أيام الحكم الإخميني، الذي قيل بأن فيها أعيد بناء المدينة حسبما جاء في سفري عزرا ونحميا، وتم فيها عودة المنفيين"[2].

انطلاقا مما سبق ذكره من الحقائق التاريخية يمكن القول، أنه يجب أن نتعامل مع القرآن الكريم بشكل مباشر، ففي "القرآن غناء كاملا وشاملا في كل حقيقة من حقائق الوجود الأساسية"[3]، فهو كلام الله الذي أحاط بكل شيء علما... عكس الإسرائيليات الخادمة لطموحات الكهنة وأحبار اليهود وأهوائهم ومآربهم.

ومن جهة أخرى، "نجد أن الإفسادين اليهوديين موجَهان للمسلمين، فالحديث عنهما في آيات القرآن وعد، وعَدَ الله به المسلمين أن يواجهوا هذين الإفسادين اليهوديين، كما أنه وعدهم أن يُزيلوهما وَقضوا عليهما.

---

(1) نقلا عن:

- The Ancient Neasr East, vol I, pp 199205, The Third Edition of the same book, princeton 1969, pp 307308. ancient record of Assyria and Babylonin. BY james Breasted, chicago, 1926, vol2, pp199.121,143.

(2) التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، ص45.

(3) مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، ص40.

قال تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾: الحديث في الآية عن رسول الله ﷺ وأصحابه، الذين أزالوا الإفساد اليهودي الأول، في المدينة وما حولها، وكان ذلك بعد الهجرة، وقد أخبر الله أنه يبعث عباده بعثًا على اليهود، وإسناد الفعل ﴿ بَعَثْنَا ﴾ إلى الله يدل على تكريم هؤلاء المجاهدين، المبعوثين بعثا على اليهود.

ووصف الله هؤلاء المجاهدين بأنهم عبادٌ لنا ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾، أي تتحقق فيهم العبوديةُ المطلقة الخالصةُ لله، وهذا تكريم رباني آخر لهؤلاء المجاهدين.

وهؤلاء المجاهدون أقوياء :﴿ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾، وقوة اليهود المقرونة بالعلو الكبير تحتاج إلى مجاهدين أقوياء، متصفين بالبأس الشديد.

وأعان الله الصحابة المجاهدين، ونصرهم على اليهود المفسدين، وجاسوا وتحركوا خلال ديار اليهود وبساتينهم وبيوتهم، وأخرجوا اليهود من الديار، وأورثهم الله إياها.

بين الإفسادين، الإفساد الأول الذي كان في بداية القرن الأول، والإفساد الثاني الذي بدأ منذُ بداية القرن الرابع عشر الهجري، أي أن الفترة بين الإفسادين كانت ثلاثة عشر قرنا"[1].

أفسد –الإفساد الأول– اليهود في الأرض على عهد رسول الله ﷺ، وعَتَوا عُتُوّا كبيرا، نكثوا العهود، ودسوا الدسائس، ومكروا مكرا كُبَّارا، وطغوا طغيانا كبيرا، فلما بلغوا الأوج في علوهم وفسادهم، سلط الله عليهم عبادا له أولي بأس شديد، وهم النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، فجاسوا خلال ديار خيبر، فاستأصلوا شجرة الفساد من جذورها، وأخرجوا أفاعي الغدر من جحورها، ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾[2]، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾[3].

(1) وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ص114 – 118.
(2) سورة الأنعام:131.
(3) سورة الكهف:59.

هنا يجب أن نقف مليا، مع غزوة خيبر التي تظهر فيها سنة الله جلية لاحبة، سنة "وعد أولاهما" أو سنة الله في الإفساد اليهودي الأول، الذي تحقق على يد رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ.

إن يهود خيبر لم يظهر منهم "أي عداء للمسلمين حتى نزل عليهم يهود بني النضير بعد أن أُجلوا عن ديارهم، وكان من أبرز من وصلها منهم حُيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحُقيق، وكنانة بن أبي الحقيق، فأوغروا صدور يهود خيبر ضد المسلمين إذا سنحت لهم الفرصة، ولا ننس أنهم حزبوا الأحزاب في غزوة الخندق، لذا أعد النبي ﷺ جيشه، وهرول نحو خيبر ليُباغت اليهود"[1].

وشيء آخر لابد من معاودة التأكيد عليه، هو أن اليهود بعد جلائهم عن يثرب جعلوا خيبر وكراً للدس والتآمر، "كانت شياطينهم تبيض هناك وتفرخ، وتؤجج نار الفتنة، وتغري الأعراب الضاربة حول المدينة، وتبيت للقضاء على النبي ﷺ والمسلمين، أو لإلحاق الخسائر الفادحة بهم، ولذلك كان أول إقدام حاسم من النبي ﷺ بعد الهدنة هو شن الحرب الفاضلة على هذا الوكر"[2].

وعليه، فبالرُّغم "من الهزائم التي مُني بها اليهود، والتي أدت إلى طردهم وتهجيرهم من يثرب، إلا أنهم لم يرعَووا، ويعودوا إلى رشدهم، ولم يأخذوا من الماضي عبرة للحاضر والمستقبل، ولم يحاولوا قط أن ينتزعوا من نفوسهم شعور الحقد والعداوة للدعوة الإسلامية وصاحبها، وأن يعيشوا مع المسلمين في سلام ووئام.

ويبدوا أن الفكرة التي سيطرت على عقول اليهود، وشكلت دستور حياتهم، وتناقلها الأبناء عن الآباء، وتواصى بها الزعماء والسادة، هي فكرة القضاء على الإسلام وأهله"[3].

وعليه، "فهل يترك الرسول ﷺ هذه الأفاعي البشرية تسبح في ظلماتها وتكمن في جحورها لتستعد لنهش قوة المسلمين وتأليب الكفر عليهم؟! لقد رأى الرسول ﷺ بثاقب

(1) سيرة الرسول ﷺ، مصطفى مراد، ص406.
(2) الرحيق المختوم، ص319.
(3) التاريخ السياسي والعسكري، علي معطي، ص202.

فكره وصائب رأيه أن يتحرك إلى جحور هذه الحيات ليوجه إليها ضربته القاصمة فأذاعت قيادة المسلمين بيانا دعت فيه إلى الجهاد، والاستعداد للقضاء على أعداء الله في خيبر قضاء نهائيا حتى يأمن شمال المدينة وتكون بعد ذلك قاعدة أمينة استعداداً لمحاسبة قريش"[1].

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الغزوات النبوية كلها "كانت قائمة على دفاعية، اقتضت من المسلمين أن يدافعوا بها عن وجودهم وأن يردوا بها هجمات أعدائهم.

أما هذه الغزوة –خيبر–، وهي أول غزوة تأتي بعد وقعة بني قريظة وصلح الحديبية، فإن لها وضعاً آخر، وإنها لتختلف جوهريا عن تلك التي كانت من قبلها، وهي تدل بذلك على أن الدعوة الإسلامية قد دخلت مرحلة جديدة من بعد صلح الحديبية.

فغزوة خيبر أول غزوة بدأها رسول الله ﷺ وأغار بها فجأة على اليهود الذين استوطنوا بقاع خيبر، دون أن يبدأوا المسلمين بأي محاربة أو قتال.

لقد كان السبب الوحيد لها هو دعوة اليهود إلى الإسلام، ومحاربتهم على كفرهم وعنادهم عن قبول الحق وأحقادهم المعتجلة في صدورهم على الرغم من الدعوة السليمة التي قامت مدة طويلة على الأدلة والبراهين"[2].

نذكر حادثة خيبر بتفصيل، قال صاحب أصح المغازي الإمام موسى بن عقبة:"ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة أو قريبا منها ثم خرج منها غازيا إلى خيبر، وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية"[3].

قال إمام أهل السير محمد بن إسحاق : "وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك > ، قال كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذانا أمسك، وإن لم يسمع أذانا أغار. فنزلنا خيبر[4] ليلا، فبات رسول الله ﷺ حتى إذا أصبح لم يسمع

(1) خذوا من التاريخ عبرة، عبد الحميد كشك، ص143.
(2) فقه السيرة النبوية، البوطي، ص245 – 246.
(3) المغازي، موسى بن عقبة، ص247.
(4) غزوة خيبر في المحرم سنة سبع، قال محمد بن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع =

أذانا، فركب وركبنا معه فركبت خلف أبي طلحة[1] وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم[2] ومكاتلهم[3]، فلما رأوا رسول الله

=منالحديبية، ذا الحجة وبعض المحرم، وولي تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر، وقال ابن سعد: في جمادى الأول، وقال موسى بن عقبة: سنة ست من الهجرة، وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ في صفر سنة سبع، ويقال لهلال ربيع الأول، إلى خيبر، وذهب الإمامان الزهري ومالك إلا أنها في محرم من السنة السادسة للهجرة. وقال ابن حجر: روى يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحاق في حديث المسور ومروان قالا: انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح، فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله:]وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه[يعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة، فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم. وذكر موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب أنه ﷺ: أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها، ثم خرج إلى خيبر. وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس: "أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال" وفي مغازي سليمان التيمي: "أقام خمسة عشر يوما " وحكى ابن التين عن ابن الحصار أنها كانت في آخر سنة ست، وهذا منقول عن مالك، وبه جزم ابن حزم، وهذه الأقوال متقاربة، والراجح منها ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول، وأما ما ذكره الحاكم عن الواقدي، وكذا ذكره ابن سعد أنها كانت في جمادى الأولى، فالذي رأيته في مغازي الواقدي أنها كانت في صفر، وقيل: في ربيع الأول، وأغرب من ذلك، ما أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة من حديث أبي سعيد الخدري قال: "خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان" الحديث وإسناده حسن، إلا أنه خطأ، ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت، وتوجيهه بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج النبي ﷺ فيها في رمضان جزما، والله أعلم".انظر: سيرة ابن هشام، 3/ 445. الطبقات 2/ 206. ". المغازي، لابن عقبة، ص247. كتاب المغازي، للواقدي (تحقيق: مارسْدن جُونس)، 2/ 634.. تاريخ دمشق، لابن عساكر، 1/ 33، فتح الباري، 7/ 533.

(1) هو: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عمرو بن مالك بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو طلحة مشهور بكنيته، كان من فضلاء الصحابة وهو زوج أم سليم، شهد العقبة وقد جزم بذلك عروة وموسى بن عقبة وذكروه كلهم فيمن شهد بدرا، واختلف في وفاته فقال الواقدي وتبعه بن نمير ويحيى بن بكير وغير واحد: مات سنة أربع وثلاثين وصلى عليه عثمان وقيل قبلها بسنتين. الإصابة، ترجمة رقم: 2907، 2/ 607.

(2) المَساحِي: جمعُ مِسْحاةٍ وهي المِجْرَفَة من الحديد والميم زائدة لأَنه من السَّحْوِ الكَشْفِ والإِزالة والله أَعلم. لسان العرب، مادة: مسح.

(3) المكاتل: جمع مَكْتَل وهي القُفَّة العظيمة، وسميت بذلك لتكتُّل الشيء فيها، وهو تلاصق بعضه ببعض. الروض الأنف، 4/ 69.

ﷺوالجيش[1] قالوا : محمد والخميس[2] معه! فأدبروا هرابا، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)"[3].

قال ابن إسحاق : "وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر[4]، فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع[5]، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ.

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر" [6].

وبعد ذلك "تدنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا، ويفتتحها حصنا حصنا، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة[7]، القموص، حصن

---

(1) الجيش: وهو من الألف إلى أربعة آلاف. فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي،252.

(2) الخميس: الجيش العظيم المشتمل على المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر. سفرة الزاد في سفرة الجهاد، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوس البغداد، مخطوط بمكتبة الزهر الشريف، الرقم العام 27363، الرقم الخاص 874، ص7.

(3) سيرة ابن هشام، 3/ 246 – 247. الطبقات، ابن سعد، 2/ 106 – 108. عيون الأثر، لابن سيد الناس (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت)، 2/ 170. تاريخ الطبري، 2/ 159.

(4) عِصْر: كل حصن يتحصن به يقال له عصر، وهو جبل بين المدينة ووادي الفرع. معجم البلدان، باب العين والصاد، حرف العين.

(5) الرجيع: ليس هو الموضع الذي غدرت فيه عضل وقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم النبي ﷺ معهم، فهو ماء لهذيل، أما هذا –قيد الدرس– فهو غير الأول لأن ذاك قرب الطائف وخيبر من ناحية الشام خمسة أيام عن المدينة فيكون بين الرجيعين أكثر من خمسة عشر يوما. معجم البلدان، باب الراء والتاء، حرف الراء.

(6) سيرة ابن هشام، 3/ 247. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص143 – 144. تاريخ الطبري، 2/ 159.

(7) هو: محمود بن مسلمة بن سلمة الأنصاري، أخو محمد بن مسلمة، استشهد في حياة النبي ﷺ، شهد محمود أحدا والخندق والحديبية وخيبر وقتل يومئذ شهيدا، الإصابة، ترجمة رقم:7827، 6/ 42.

بني أبي الحقيق وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا، منهن صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وبنتي عم لها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه. وكان دحية بن خليفة الكلبي[1] قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين"[2].

قال ابن إسحاق : "ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنيهم الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا، فحاصرهم رسول الله [3] بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول ﷺ يوم خيبر: يا منصور، أمت أمت"[4].

قال ابن إسحاق : "وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق > برايته وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يك فتح، وقد جهد. ثم بعث الغد عمر بن الخطاب > ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد. فقال رسول الله ﷺ: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه، ليس بفرار). قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ عليا > وهو أرمد[5]، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه

(1) هو: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي، صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدرا وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل u ينزل على صورته، وقد شهد دحية اليرموك وكان على كردوس وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية، الإصابة، ترجمة رقم: 2392، 2/ 384.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، 3/ 248. جوامع السيرة، ابن حزم، ص126. الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر، ص145. تاريخ الطبري، 2/ 159 – 160.

(3) سيرة ابن هشام، 3/ 247.

(4) سيرة ابن هشام، 3/ 249. المغازي، موسى بن عقبة، ص248 – 250.

(5) أرمد: الرَّمَدُ وجع العين وانتفاخُها رَمِدَ بالكسر يَرْمَدُ رَمَداً وهو أَرْمَدُ ورَمِدٌ. لسان العرب، مادة: رمد.

الراية[1] فامض بها حتى يفتح الله عليك. قال يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح[2] يهرول هرولة، وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم[3] من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت ؟ قال أنا علي بن أبي طالب. قال يقول اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه"[4].

وحاصر رسول الله ﷺ "أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم، إلا ما كان من ذينك الحصنين. فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل[5]. وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود[6]، أخو بني حارثة. فلما نزل أهل خيبر على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، فصالحهم

---

(1) عن أبي هريرة > ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"لقد أعطي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث خصال لأن يكون في خصلة منهن أحب إلي من أن أعطى حمر النعم. قيل: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناه بالمسجد مع رسول الله ﷺ يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر". مناقب الأسد الغالب ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بن غالب أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لشمس الدين محمد بن عبد الله ابن الجزري، حديث26. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، للنسائي، ح11، ص26.

(2) أَنَحَ: يَأْنِحُ أَنْحاً وأَنِيحاً وأُنُوحاً وهومثل الزَّفِيرِ يكون من الغم والغضب والبِطْنَةِ والغَيْرَةِ. لسان العرب، مادة: أنح.

(3) رضم: الرَّضَمُ والرِّضامُ صخور عظام يُرْضم بعضها فوق بعض. لسان العرب، مادة: رضم.

(4) سيرة ابن هشام، 3/ 251 – 252. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص146.

(5) وقتل من اليهود يوم خيبر ثلاثة وتسعين رجلاكما قال ابن إسحاق، ومن أصحاب النبيﷺ خمسة عشر رجلا. قال ابن حزم: "وكان المسلمون يوم خيبر ألف وأربعمائة رجل، ومائتي فارس".انظر: الطبقات، ابن سعد، 2/ 107. وعيون الأثر، لابن سيد الناس (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت)، 2/ 183. مغازي موسى ابن عقبة، ص258. جوامع السيرة، ص127.

(6) هو: محيصة بن مسعود حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري، وكان محيصة أصغر من حويصة وأسلم قبله. الإصابة، ترجمة رقم: 7830 – 1883، 6/ 45، 2/ 143.

رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب"[1].

فلما اطمأن رسول الله ﷺ، استيقظ الغدر في نفس أحد اليهوديات وهي زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، التي حاولت أن تدس السم لرسول الله ﷺ لينتهي أمره، فأهدت له " شاة مصلية [مشوية] وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور[2]، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ. فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها، فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل. قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ قد قال: في مرضه الذي توفي فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور[3] تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر، قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة"[4].

---

(1) سيرة ابن هشام، 3/ 253 – 254. المغازي، لابن عقبة، ص252. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص152. حياة رسول الله، محمود شلبي، ص168 – 169.

(2) هو: بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السلمي، فشهد العقبة مع أبيه وشهد بدرا وما بعدها ومات بعد خيبر من أكلة أكلها مع النبي ﷺ. الإصابة، ترجمة رقم: 654، 1/ 294.

(3) هي: أم بشر بنت البراء بن معرور تقدم نسبها في ترجمة والدها وفي ترجمة أخيها بشر قيل اسمها خليدة وقيل السلاف والذي ظهر لي بعد البحث أن خليدة والدة بشر بن البراء، الإصابة، ترجمة رقم: 11907، 8/ 175.

(4) سيرة ابن هشام، 3/ 255. المغازي، موسى بن عقبة، ص254 – 255. تاريخ الطبري، 2/ 163. وذكر الإمام البخاري غزوة خيبر في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر من صحيحه.

ولا شك في أن الهزيمة التي حلت بيهود خيبر وجعلتهم يجرون أذيال الخيبة والتعاسة، قضت على كيانهم العسكري في الجزيرة العربية قضاء تاما. لذلك عجل يهود "فدك" بطلب الأمان والصلح.

قال ابن إسحاق: "فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى[1]، فحاصر أهله ليالي ثم انصرف راجعا إلى المدينة"[2].

لقد دعا رسول الله ﷺ أهل وادي القرى على الإسلام فأبوا وعموا وصموا عن دعوة الحق، "فبينما النبي ﷺ بوادي القرى أصيب رجل من المؤمنين بسهم فقتل"[3]، فلما برزوا للقتال " قُتل منهم أحد عشر رجلا. وبات عليهم وغدا – النبيﷺ– لقتالهم، فأعطوا بأيديهم، فأخذها عنوة"[4]، "وغنمه الله أموالهم وأصاب المسلمون أثاثا ومتاعا كثيرا، وقسم رسول الله ﷺ ما أصابه على أصحابه وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود، وعاملهم عليها، وولاها عمرو بن سعيد بن العاص وصالحه أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى"[5].

ثم "بعث[6] رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة[7] في ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن

(1) وادي القرى: وهو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، والنسبة إليه واديّ. معجم البلدان، لياقوت الحموي، حرف الواو، باب الواو والألف وما يليهما، 5/ 344.

(2) سيرة ابن هشام، 3/ 255. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص152 – 153. حياة رسول الله ﷺ، محمود شلبي، ص171. تاريخ الطبري، 2/ 164 – 165. جوامع السيرة، ابن حزم، ص130. تاريخ ابن خلدون، 1/ 838. زاد المعاد، ابن القيم، 2/ 198.

(3) خاتم النبيين، 2/ 1071.

(4) إمتاع الأسماع، المقريزي، 1/ 332.

(5) محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا، ص321.

(6) في شوال سنة ست للهجرة. عيون الأثر، ابن سيد الناس، 2/ 109.

(7) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، الشاعر المشهور، يكنى أبا محمد ويقال كنيته أبو رواحة ويقال أبو عمرو وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة خزرجية أيضا وليس له عقب من السابقين الأولين من الأنصار وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة. الإصابة، ترجمة رقم: 4679، 4/ 82.

أنيس السُّلمي[1] إلى اليُسير بن رِزام اليهود حتى أتوه بخيبر، وبلغ رسول الله ﷺ أن يجمع غطفان ليغزوه بهم، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله ليستعملك على خيبر، فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين. فلما بلغوا قرقرة ثبار وهي من خيبر على ستة أميال، ندم اليسير، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس، ففطن له عبد الله، فزجر بعيرهم ثم اقتحم يسوق بالقوم، حتى استمكن من اليسير ضرب رجله فقطعها، واقتحم اليسير وفي يده مخرش من شوحط فضرب به وجه عبد الله فشجه شجة مأمومة وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدا، ولم يصب من المسلمين أحد، وقدموا على رسول الله ﷺ فبصق في شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذه حتى مات"[2].

وبتصفية قضية اليهود الباقين حول المدينة، انتهت معارك النبي ﷺ، "دون أن يخوض معهم معركة واحدة، ودون أن يحاربهم وقريشا في وقت واحد.

وهذه إحدى العبر في تاريخ الرسول ﷺ السياسي والعسكري، دلنا على براعته وتوفيقه في الوصول إلى النصر، دون أن يثير قوى الأعداء عليه جميعا ما دام يستطيع ان يفرق بينهم -كما في غزوة الخندق- أو أن يضربهم الواحد بعد الآخر كما حصل في تصفية قضية اليهود في جزيرة العرب"[3].

هذا، "وبانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر، مهما كان من الفريقين من العهود والمواثيق. ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين"[4].

ومن هذه المعارك، تنطق سنة الله وتقول، أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وهو سبحانه تعالى وتقدس، لا ينتزعها أمة وتعطى لأخرى محاباة، بل كل ذلك وفق سنة

---

(1) عبد الله بن أنيس السلمي عبد الله ذكره الواقدي فيمن استشهد باليمامة. الإصابة، ترجمة رقم: 4551، 4/ 15.

(2) المغازي، لابن عقبة، ص259. سيرة ابن هشام، 4/ 476 - 477.

(3) عظماؤنا في التاريخ، ص57.

(4) نور اليقين، ص217.

إلهية عادلة، لا تحابي أحدا. فكل أمة طغت وتكبرت وفسدت، وجحدت النعمة، فقدت مكانتها، وانتزع منها كل شيء، وحق عليها العذاب، كما وقع لليهود، الذين دارت عليهم الدوائر، وأصابتهم بفسادهم القوارع، فكان "وعد أولاهما" في انتظارهم، لما عَتوا عُتوا كبيرا، وفسدوا في الأرض، وصدوا عن سبيل الله، فجاست جيوش الحق خلال ديار خيبر، فكان وعد الله حقا، وكلامه صدقا وعدلا، وسنته لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[1].

هكذا رُسم لنا المنهاج، وخُطت لنا الطريق، ووضعت لنا القنوات من شأنها أن تعيد المياه إلى مجاريها وتأخذ بيد الأمة إلى شاطئ السلامة وبر الأمان، لتتخلص من روح الجاهلية، وبؤرة الفساد، وأصل البلاء، من اليهود الحاقدين، الجاثمين على بيتها المقدس... وعلى ثروات العالم.

لكن لابد لنا من الرجوع إلى السيرة النبوية العطرة، نتدبر أحداثها وكنهها، ونتأمل في جهاد رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، لكي نستشعر من هذا الجهاد معاني الإيمان التي فقدناها، معاني الرجولة التي انجرفنا عنها، معاني الجهاد في سبيل الله الذي نكصنا عنه، معاني الإقبال على الله عز وجل وقد أعرضنا عنه.

ننظر إلى المستقبل بعين الذين ينتظرون أن يتحقق موعود الله، موعود الله لهذه الأمة أن يمكن لها الله في الأرض، وموعود الله للذين آمنوا أن يرضى عنهم ويدخلهم جناته في الآخرة بعد الموت.

لابد إذن، أن نعيد الوصلة بالسيرة المصطفوية، منها نستمد الخِبْرة والأسوة، ومنها نستقي الرحمة والحكمة، ومنها نتأسى في جهادنا لاستقبال (وعد الآخرة)، كما جاهد النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فاستقبلوا (وعد أولاهما)، فكان النصر على أيديهم، وأذاق الله اليهود بأس العذاب، وننتظر بعد تشميرنا على ساعد الجد بتربية إيمانية إحسانية، وإعداد القوة،

(1) سورة الأنعام:6.

والتمسك بسنة الجهاد، أن يذيقهم بأس العذاب، وأن يخرجهم أذلة صاغرين كما أخرجهم أول مرة. وما ذلك عليه سبحانه وتعالى وتقدس بعزيز، ﴿ ...إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ... ﴿٧٠﴾ ﴾[1].

(1) سورة الأنفال: من الآية 70.

المبحث الخامس
وعد الآخرة

وعد الآخرة

إن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم بقدم الحياة على ظهر هذه الأرض، والأيام دول، ولا شك أننا نعيش اليوم مرحلة من مراحل الدولة للباطل وأهله يوم انشغل عن الحق أهله حيث تمكن إخوان القردة والخنازير أهل الغدر من إقامة دولتهم في الأرض المقدسة، سيطروا على مسرى الحبيب، وحرقوا منبر صلاح الدين، وقاموا بحفريات خطيرة تحت المسجد الأقصى، كل هذا وغيره ليقيموا هيكلهم المزعوم في "أرض الميعاد" كما يعتقدون. وهذا درس من أهم الدروس للأمة الإسلامية، بل هو الدرس بالحروف البارزة، أصابها ما أصابها لما تخلت عن ذروة سنام الدين، الجهاد في سبيل الله.

هكذا ابتليت أمتنا الإسلامية بهذه الجرثومة القذرة الخبيثة، التي تؤكد صباح مساء أن الصراع بيننا وبينهم ليس صراع أرض وحدود، ولكنه صراع عقيدة ووجود. لهذا اقتضت سنة الله بقاء هذه الفصيلة الآدمية الشريرة، لتسوقها إلى وعد الآخرة لتلفظ أنفاسها الأخيرة.

وعليه، فإن النظر إلى واقع الأمة بعين الشؤم، لا يزيد الوضع إلا تأزما، والجرح نزيفا، والثغرة توسعا، وقد قرأنا لمجموعة من الكتاب من بني جلدتنا، يئسوا من واقع الأمة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، فتراهم لا ينتظرون إلا الساعة، بحكم الفساد الذي استشرى في جسم الأمة، ويعارضون كل من يقول بأن هناك خيرًا وفتحًا سيعم ربوع الأرض، وتخضع له الجبابرة والقياصرة، فتجاسروا برأيهم هذا على مَهْيَع العلماء العاملين وتمردوا على ما تلقته الأمة بالقبول من سيدنا رسول الله ﷺ إلى اليوم في بلوغ نور الإسلام إلى ما بلغه اليل والنهار، ودخوله إلى كل بيت:عَنْ تَمِيم الدَّارِي > قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ،عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الكُفْرَ)[1].

يقول الله تبارك وتعالى في هذه البشارة: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ

(1) المسند، للإمام أحمد، حديث تميم الداري > ح17420.المستدرك، كتاب الفتن والملاحم ح8326.

وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

ويقول الباري سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

إن ذكر الوَعْدَين في سورة الإسراء التي نزلت إبان معجزة الإسراء والمعراج، التي كانت مباشرة بعد رجوع النبيﷺ من الطائف الذي لاقى فيه من الأذى والعنت والشدة الكثير على يد سفهاء ثقيف، فكان ذكر الوعدين في سورة الإسراء بَلْسَم الرحمة، وإكسير النصر، وباعث اليقين، لحبيبنا وسيدنا وسندنا رسول اللهﷺ، وللرجال الصادقين معه، وللسالكين منهاجه من بعده.

لقد نظر "أسلافنا رحمهم الله ورضي الله عنهم إلى قضية بني إسرائيل وكأنها أمر انتهى ولم يعد لذكرهم موضوع بعد أن شُرِّدوا في الأرض وقُتلوا تقتيلا.

ونقرأ نحن رحمنا الله كما رحمهم هذه الصفحة من كتاب الله العزيز قراءة حية تنبض بالتوتر مع الأحداث الهائلة التي رفعت بني إسرائيل إلى عُلُو كبير. مكنهم ولا يزال يمكنهم من الإفساد في الأرض. علو وفساد ما كان لأسلافنا أن يتصوروه وهم كانوا أحد رجلين: إما مفسر مجتهد قابض على النص ناظر فيه ومن خلاله ثاوٍ في منصة العِزِّ أيام كان للمسلمين الغلبة وكان اليهود تحت الذمة يرتعون في حماية الإسلام دون أن يشكلوا أي قوة تستحق في نظر المفسر الثاوي في زمانه أن يخاطبها القرآن أو كان المفسر مقلدا في عصور الرقاد والانحطاط فلا يجرؤ على تجاوز ما قاله السابقون، وماذا يقول، لو كان هو الشوكاني المجتهد المطلق، ولا ذكر لليهود إلا بالقلة والذلة؟" [3].

(1) سورة الإسراء: الآيات:7 – 9.
(2) سورة الإسراء: الآية:104.
(3) سنة الله، عبد السلام ياسين، ص69.

وعليه، فإن "المعركة ضد اليهود عند إفسادهم الثاني هي معركة المسجد الأقصى، وسيدخلُه المجاهدون فاتحين، وسيحررون الأرض المقدسة، ويدمرون الكيان اليهودي عليها ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾" [1].

ولا يفوتني في هذا السياق أن أذكر حوارا بين الإخوان المسلمين واليهود[2]، حيث التقوا في سجن طره السياسي بمصر، فكان بينهم الجوار والحوار، أنقله على طوله – من كتاب: "البوابة السوداء" للأستاذ أحمد رائف– لما فيه من فوائد كثيرة، تدعم رأينا في أن إفساد اليهود في المرة الثانية "وعد الآخرة" إنما يتحقق في آخر الزمان الذي ينتصر فيه الإسلام على الكفر والطغيان.

يقول الأستاذ أحمد رائف :"كان اليهود يعيشون سادة في معتقل طره السياسي، فهم ينتمون إلى دولة منتصرة، أعلامها مرفوعة، وجهات دولية كثيرة تسأل عنهم وترسل مندوبيها للاطمئنان كل حين وآخر، فهم يعيشون أيام المعتقل بحبوحة من العيش يرتدون الملابس الغالية الثمن ويخرجون للرياضة كل صباح، ويتخذون ما يشاءون من خدم المسجونين الذين تكلمت عنهم، وتعمل الإدارة لهم كل حساب، وهي تطيع رغبتهم في كثير من الأمر، وكانوا ينقسمون إلى قسمين: الربانيين[3] والقرائين[4]، وهم يعيشون معا في عنبر واحد ورقمه واحد أيضا، فيهم الشباب وفيهم الشيوخ، وكانوا على صلاتهم يحافظون، وتراهم متمسكين بدينهم، يعملون حسب أوامره ونواهيه، وكان زعيمهم (إيلي صفدية)

(1) وعود القرآن بالتمكين للإسلام، الشيخ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص114 – 118.

(2) كان ذلك بعد هزيمة عبد الناصر في يونيو سنة 1967 من تاريخ النصارى، التي دفعت البكباشى إلى الزج بيهود مصر في معتقل طره السياسي، فكان ذلك مناسبة للالتقاء بالإخوان المسلمين هنالك في المعتقل.

(3) فرقة الربانيين: وتسمى كذلك :(الغريزيون): وهي فرقة تعتقد بأن عيسى – عليه السلام– زنديق! وإن كانوا معتقدين بظهور مسيح منتظر، كما أنهم يوجهون العامة إلى احتقار الأمم والأديان والأجناس الأخرى، وأكثر اليهود في هذا الزمان ربانيون وهم الذين أنشأوا الحركة الصهيونية.

(4) فرقة اليهود القرائين: هم فرقة رفضت التلمود، واكتفت بما في التوراة بغير تفسير، وجعلته مصدراً أوحد للاهوتهم، وهم أتباع "رجل من اليهود يسمى (عنان بن داؤد) من أهل بغداد، ظهر زمن أبي جعفر المنصور في القرن الثاني الهجري وأنكر التلمود وسائر الروايات التي يقول بها الغربيون". فرقة القرائين اليهود، جعفر هادي حسن، ص9.

وهو رجل عجيب، يستطيع أن يفعل ما يشاء وأن يحصل على ما يريد، وكنا نعجب من أحوالهم وكيف يعيشون!؟ وكيف يحصلون على تلك المكاسب في بساطة ويسر؟ ونحن لم نأكل الفول المدمس حتى سقط منا شهداء وقد أخبرنا بعضهم بتفسير هذه الألغاز، فالمال في الخارج كثير ونساؤهم لهم قدرة كبيرة على إقناع كبار المسئولين، هكذا حكوا لنا، وكنا نجادلهم في كثير من الأحيان، ونقول لهم:

- في القرآن الكريم أنكم تفسدون في الأرض مرتين، وفيه أيضا أننا نقاتلكم ونطردكم من أرض فلسطين، ونحن على يقين من هذا.

ويقول قائلهم في هدوء:

- ونحن على يقين مثلكم، فقد حكت التوراة عن هذا، ولكن ليس في هذا الجيل، أنتم أضعف من أن تفعلوا، ونحن أقوى من أن نهزم أمامكم.

وتستفزني هذه الصفعة الهادئة فأقول:

- عجيب أمرك، هل ترى هذا حقا؟.

ويرد في هدوء:

اسأل نفسك. ألا تقرأ صحف الصباح؟ انظر فيها لتعرف الفرق بين العرب وإسرائيل، ثم أنت تقول إن المسلمين هم الذين يهزمون اليهود، أين هؤلاء المسلمون؟ هم جميعا في السجن، والقائم على أمركم يتبرأ من الإسلام كل صباح مساء، ليس هو فقط، بل كل حكام العرب، عداؤهم للإسلام والمسلمين أعظم من عدائهم لإسرائيل واليهود، حتى يتوحد العرب يحتاجون إلى جيلين، أما أن تخرجوا أنتم من السجن وتحكموا البلاد فهذا بعيد، وسوف يحول بينكم وبين هذا إخوانكم من حكامكم، أما إن حدث ذلك فتلك قصة أجيال تذهب وتجيء ونحن لن نشهد منها شيئا، هذا أمر يكون بين أحفادنا وأحفادكم، هي حرب لن يشهدها واحد فينا، أما هذه الأيام فهي عصر اليهود، لقد بذل الحكماء والكبراء فينا أعمارهم وأموالهم من أجل الوصول إلى هذه الأيام، وقد شهدها جيلنا، وأنتم تعيشون عهدنا الذهبي.

وكنا نتأمل صراحتهم في دهشة، ونرقب إيمانهم في فضول وتعجب، ونرى كثيرا مما يقولون ينطبق على واقعنا المر.

وكنت أسأل بعضهم:

- لو أفرجوا عنك إلى أي البلاد تذهب؟

فيقول متعجبا من سؤالي:

إلى إسرائيل بطبيعة الحال، هذه أيام الرب، وهو يتجلى من جبل صهيون.

- ولكنك تعودت الحياة في مصر؟

- يجيب: سوف يمكننا الرب من مصر، وطني إسرائيل من الفرات إلى النيل.

وأقف مذعورا على كلامه:

- أعوذ بالله- لن يكون هذا في حياتنا أبدا.

وبهدوء الواثق:

- لو امتد بك العمر فسوف ترى هذه الحقيقة، وبعدها الأيام دول وليفعل بنا الرب ما يشاء، قد نسينا وصايا الرب لموسى فشردنا في الغربة قرونا، ونحن الآن نعود إليها، والرب جبار وقادر وهو رحيم وعادل أيضا"[1].

من هذا الحوار نستفيد أن اليهود أنفسهم على يقين من ﴿وعد الآخرة﴾ الذي تصبح فيه دولتهم كالهشيم الذي اشتدت فيه الريح في يوم عاصف.

هذا علاوة على أن سنة الله ساقتهم إلى فلسطين ليتحقق فيهم وعد الله بإفسادهم الأخير، فالمتفقه في سنة الله إذن، والناظر بمنظار القدر الإلهي في الكون، والمتمعن في آيات الله في الكون يدرك حقيقة الآيات القرآنية التي تتحدث عن فساد اليهود، ويدرك سنة الله التي تسوقهم إلى وعد الآخرة.

(1) التاريخ السري للمعتقل: البوابة السوداء، صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين، ص475 – 477.

وفضلا عن ذلك فقد بينت السنة المطهرة المقصود بوعد الآخرة في الحديث الذي رواه الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ > أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليهودي مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ .فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِي خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ[1] فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)[2].

هذا الحديث النبوي الشريف يرسم لنا صورة للمستقبل القريب الذي يواجه فيها عباد الله وحزبه أخبث جرثومة على وجه الأرض.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهُ، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لا يَضُرُّهُمْ خِذْلانُ مَنْ خَذَلَهُمْ، ظَاهِرِينَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)[3].

عن عمران بن حصين > ¡ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال"[4].

وعن جابر بن عبد الله > ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ¡ يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء لتكرمة الله هذه الأمة"[5].

---

(1) يقول الإمام النووي:"الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود، وقال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة". صحيح مسلم بشرح النووي، 9/ 242، واليهود اليوم في فلسطين البلاء مولعون بغرس شجر "الغرقد" المذكور في الحديث.

(2) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، ح2925 و2926، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح 2922، واللفظ لمسلم، المسند للإمام أحمد، مسند أبو هريرة> ح9387.

(3) المعجم الكبير للطبراني، ج19، ح 220. المعجم الأوسط للطبراني، ج1،ح 47. مسند أبي يعلى الموصلي، ح 6286.

(4) المستدرك على الصحيحين، كتاب الجهاد، ح2351. قال الحاكم:"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". المعجم الكبير للطبراني، ح14648. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في دوام الجهاد، ح2486. مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، ح19934.

(5) صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، ح6945. مستخرج أبي عوانة، كتاب الإيمان، ح235. السنن الكبرى للبيهقي، 9/ 180.

عن ابْن زُغْب الإِيَادِيَّ قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوَالَةَ الأَزْدِيُّ فَقَالَ : لِي وَإِنَّهُ لَنَازِلٌ عَلَيَّ فِي بَيْتِي بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَغْنَمَ فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئاً وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: " اللَّهُمَّ لاَ تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ وَلاَ تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا وَلاَ تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ ". ثُمَّ قَالَ: " لَيُفْتَحَنَّ لَكُمُ الشَّامُ وَالرُّومُ وَفَارِسُ – أَوِ الرُّومُ وَفَارِسُ – حَتَّى يَكُونَ لأَحَدِكُمْ مِنَ الإِبِلِ كَذَا وَكَذَا وَمَنَ الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا وَمِنَ الْغَنَمِ حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا ". ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي – أَوْ هَامَتِي – فَقَالَ: " يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلاَفَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلاَزِلُ، وَالْبَلاَيَا وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ "[1].

قال الأستاذ سعيد حوى:"الظاهر أن الحديث في خلافة تكون عاصمتها القدس، وإلى القدس يذهب المسيح # بعد نزوله في دمشق، وهذا يشير إلى أن فلسطين وقتذاك بيد المسلمين، وأن دولة اليهود الحالية منتهية"[2].

وعلى ضوء ما تقدم " لابد من المواجهة إذن، وقتال اليهود وراء الحجر والشجر ما عدا الغرقد حتم مقضي، والدخول الثاني للقدس بعد دخول عمر > قضاء محتوم. لا نحسب الدخلة الكريمة العزيزة التي دخلها صلاح الدين رحمه الله ورفع مقامه، فقد دخلها على النصارى المحتلين لا على بني إسرائيل. ولو بدا من النصارى التفات عن حلفائهم اليهود لالتمسنا "ظروفا للتخفيف" من حدة المواجهة معهم"[3].

إننا "إذا أشرفنا على الساحة الواقعية من إزاء القرآن وتصفحنا الأحداث وقارنا أهميتها التاريخية بالمستوى الجهادي الذي تطلبنا به (التي هي أقوم)، وهي مطلقة لا تتقيد بصوابنا أو خطئنا في التفسير. رأينا كيف كان التكليف خفيفا على مفسرينا الأولين الذين عاشوا في ظل شوكة الإسلام المنتصرة لا وجود تحتها لما يشبه ولو في الخيال شيئا مثل:"الخطر

(1) مسند الإمام أحمد، المستدرك للحاكم، كتاب الملاحم والفتن، قال الحاكم:"هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".
(2) الأساس في السنة وفقهها، 2/ 10017.
(3) سنة الله، ص74.

اليهودي". وأنى لليهود، في رأي العين يومئذ، أن يشكلوا قوة تعلو في الأرض وهم بَدَدٌ، هل تُحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟

لذلك طفق مفسرونا يرددون قتل اليهود لأشعياء وحبسهم لأرمياء عليهما السلام. قتل أنبياء الله من أشنع جرائم اليهود لعنهم الله، لكننا لا نحسبه من حيث مصير الإنسانية إفسادا يقارب ما نعرفه ونقاسيه من إفساد بني إسرائيل في عصرنا"[1].

منذ عقود من الزمان واليهود يعيثون في الأرض فسادا، قتَّلوا الأطفال ويتموهم، وقتلوا الشيوخ والنساء، وهدموا المنازل والمساجد، وقطعوا الأشجار وهدموا الجسور، وهتكوا الحرمات واغتصبوا الحريات، وسيطروا على العالم وعلى ثروات العالم، وأمسكوا بزمام الاقتصاد والإعلام، واستعبدوا الحكام... وهلم جرا من الجرائم والمجازر التي تقشعر من هولها الجلود والأبدان.

ما كان لبؤرة السوء، ومعدن الشر، وخلاصة الجاهلية، ومنبع الفتنة، وداء الأمم المبثوث في التاريخ، وفساد الأرض الكبير، ووباء كل عصر إلا أن يكون أبشع ما يمكن أن يتصوره خيال.

وعليه، فإن ما ذهب إليه المفسرون من "إيقاع بُختنصر باليهود وإيقاع جالوت وجند فارس وبابل، وكل أولئك كانوا كفارا لا يحق أن يشرفوا بتفسير أنهم "عباد لنا". فلفظ "العباد"[2] منسوبا إلى الألوهية أو الرحمانية أو ضمير الجلالة يطلق في القرآن على العباد الصالحين، وما ربك بظلام للعبيد، مطلق العبيد.

---

(1) سنة الله، ص70.

(2) وللإشارة فإن كلمة "عَبْد" تجمع على "عبيد" وعلى "عباد"، ففي القرآن الكريم، فالعبد الذي يعرف ربه، جمعه "عباد"، كقوله جل في علاه: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾(الصافات:160)، وقوله جل ذكره: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الزمر:10)، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزخرف:68)، وقوله جلت حكمته:﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الإنسان:6)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾(الفرقان:63)،
ومطلق العبيد تجمع على "عبيد"، نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (آل عمران:182).

عباد الحضرة المصطفون الأخيار كانوا هم رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أفسد اليهود في الأرض يومئذ بما نقضوا من عهود وبما نكثوا وغدروا. كان جند الله بقيادة رسول الله عبادا لله أولي بأس شديد جاسوا خلال ديار خيبر الجوس المُنكي الذي لا تزال ذاكرة إخوان القردة تحفظه وتغذي نوايا ثاراته باحتلال مكة والمدينة بعد احتلال القدس.

نقلة تاريخية ما بين انتصار المسلمين على اليهود بعد خيبر ودخولهم بيت المقدس في زمن عمر طواها القرآن طيا كما نعهد في بلاغته.

لم يكن لليهود كل ذلك العلو المادي على عهد رسول الله ﷺ وإن كانت لهم صناعة وأُطم وحصون، لكن عباد الله كانوا عبادا لله حقا. وموعد الآخرة بينهم وبيننا يقترب، نرى اطّراد تقدمهم العلمي والتكنولوجي والتحالفي والتنظيمي والكيدي ومعهم القنابل الذرية والصواريخ يصنِّعونها تصنيعا. ولن يكون المسلمون الذين يقاتلونهم ويقتلونهم خلف الحجر والشجر، يتكلم الشجر بإذن الله، إلا الجيل الذي يستحق أقرب الاستحقاق أن يسموا عباد الله كما كان المهاجرون والأنصار عباد الله"[1].

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب في هذا المضمار في تحليل عجيب أنقله على طوله لما فيه من الفوائد والفرائد:"إن وعد الآخرة كان إلى نزول القرآن الكريم غيرَ واقع، وأنه سيقع في المستقبل القريب، أو البعيد.. والدليل على هذا ما يحدث به القرآن الكريم في هذا المقام.

فقد تحدث القرآن الكريم عن مجيء المرة الأولى هكذا: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾[2].

وتحدث عن مجيء المرة الثانية هكذا: ﴿ ...فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾[3].

فالآيتان تحدثان عن المستقبل، الذي يدل عليه الشرط: "إذا".. وهذا يعني أن المرتين على سواء، في تعليقهما بالمستقبل وقت نزول القرآن.. الأمر الذي يجعل القول بأن إحداهما قد وقعت، والأخرى لم تقع.. قولا لا حجة عليه، ولا مبرر له.

---

(1) سنة الله، ص71.

(2) سورة الإسراء:5.

(3) سورة الإسراء: من الآية7.

ولكن الذي ينظر في الآيتين يجد:

أن الشرط الذي يعلق الفعلين بالمستقبل هو منظور فيه إلى ما قضاه الله سبحانه وتعالى في كتابه، وجعله قَدَراً مقدوراً على بني إسرائيل في وقوع هاتين المرتين من الإفساد.. وعلى هذا يكون وقوع الأحداث المسطورة في كتاب الله كلها لم تكن وقعت حين قضى الله بها وأودعها خزائن علمه"[1].

ويضيف قائلا:"ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ في الآية نجد حديثا عن "المسجد".. والمسجد كما هو معروف مَعْلَم من معالم الإسلام، وسِمة من سمات بيوت الله التي يتعبد المسلمون فيها.. إذ كان السجود أبرز عمل من أعمال المسلمين في الصلاة.. ولهذا كان الاسم الذي يعرف به المسجد الأقصى هو: "بيت المقدس" حتى إذا أسرى الله سبحانه وتعالى بالنبي الكريم إليه أسماه –سبحانه– المسجد الأقصى.. وجعله بهذا الاسم القِبلة الأولى للمسلمين، كما جعله بهذه التسمية مسجداً لهم يعبدون الله فيه.. ثم كان الوصف الذي يُعرف به المسلمون في المجتمع الإنساني هو سِمةَ السجود الذي في وجوههم. كما يقول تعالى: ﴿ ...سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ...﴿٢٩﴾ ﴾[2].

فذكر "بيت المقدس" باسم"المسجد" يشير إشارة واضحة إلى أن المرة الثانية التي يقع فيها من بني إسرائيل هذا الإفساد إنما تكون في العهد الإسلامي، وفي الوقت الذي يكون فيه بيت المقدس مسجداً للمسلمين، على خلاف ما كان عليه من قبل، حيث لم تشر الآية الأولى إلى المسجد من بعيد أو قريب.. بل جاءت الآية هكذا ﴿ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ أي تنقلوا كما يشاءون بين الديار، وهذا يعني أن العدو الذي ابتلاهم الله به كان متمكنا، بحيث يمشي في ديارهم، ويتخلل طرقاتها دون أن يخشى أحداً"[3].

ومن ثم فإننا بتدبرنا لآية وعد الآخرة نجدها تقرر مجموعة من الحقائق، وهي:

- أن الذين يتسلطون على بني إسرائيل في هذه المرة سيدخلون المسجد الأقصى..﴿كما دخلوه أول مرة﴾.

(1) التفسير القرآني للقرآن، 3/ 449 – 450.
(2) سورة الفتح: من الآية29.
(3) التفسير القرآني للقرآن، 3/ 450 – 451.

وهذا يعني أمورا:

- أن الذين يدخلون المسجد الأقصى هذه المرة قد كان لهم دخول إليه من قبل، وأنهم إنما يفعلون في هذه المرة ما فعلوه في المرة السابقة.

- ودخول المسلمين المسجدَ الأقصى أولَ مرة كان في خلافة عمر بن الخطاب > وقد ظل في أيديهم إلى أن دخله بنو إسرائيل في هذه الأيام، عام ١٣٨٧ للهجرة.

نعم..خرج المسجد الأقصى من يد الصليبيين.. ثم أعيد إليهم مرة أخرى، على يد صلاح الدين ولم يكن لبني إسرائيل حساب أو تقدير في هذا الأمر.

- ودخول المسلمين إلى المسجد الأقصى وانتزاعه من يد الصليبيين ليس له شأن بالدخول الذي سيدخله المسلمون، بعد أن ينتزعوا هذا المسجد من يد بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل لم يدخلوا المسجد، ولم يستولوا عليه منذ الفتح الإسلامي، حتى وقع بأيديهم في هذه الأيام.

- فهذه إرهاصة من إرهاصات المرة الثانية، أو وعد الآخرة، وهي أن يكون المسجد الأقصى في يد بني إسرائيل، ثم يجيء إليهم مَن يُخرجهم منه، وينتزعه من أيديهم، وهم أولئك الذين كان "المسجد" مسجدَهم الذي ﴿دخلوه أول مرة﴾! وليس المسجد إلا مسجدَ المسلمين، وليس الذي يدخله للمرة الثانية وينتزعه من اليهود، إلا المسلمين.

- والإرهاصة الثانية هي الحال التي عليها اليهود أنفسُهم، وهي أن يكونوا على الصفة التي وصفهم الله بها حين يفسدون في الأرض، ويَعْلُون علوًّا كبيرا، وحين يدخل عليهم أصحاب المسجد كما دخلوه أول مرة، ليسوءوا وجوههم، أي يُلبسوهم الخزي والسوء، وقد اختُصَّت الوجوه بهذا، لأنها الصفحة التي ترتسم عليها أحوال الإنسان كلها، وما يمسه من خير أو شر، وما يلقاه من نعيم أو بؤس"[1].

ولهذا فإن وعد الآخرة هي ما تعيشه إسرائيل اليوم، وما وصلت إليه في عصرنا من علو وفساد واستكبار وغرور، وحقد بلا حدود.

(1) التفسير القرآني للقرآن، 3/ 451 – 452.

وسيتحقق وعد الله تعالى على يد المسلمين في آخر الزمان، وسيدخلون المسجد كما دخله المسلمون أول مرة في زمن الفاروق عمر بن الخطاب > ، وسيذيقون اليهود الخزي والعذاب، ويلبسونهم سرابيل الهزيمة النكراء، وحينئذ يعرفون حقيقتهم ويدركون جبلتهم بأنهم الجبناء حقا وإن تظاهروا بزي النمور، فيهوون هويّا من علوهم وعتوهم.

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب:"إننا نقطع عن يقين أن بني إسرائيل معنا اليوم واقعون تحت قوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾.

وإذًا فالجولة التالية بيننا وبين بني إسرائيل هي لنا، وسندخل المسجد إن شاء الله كما دخلناه أول مرة، وسنخزي القوم ونعريهم من كل ما لبسوا من أثواب الزهو والغرور.. وسنقضي على هذه الدولة المولودة سفاحاً.. فلن تقوم لها قائمة إلى يوم القيامة.."[1].

وهنا لابد أن نشير إلى " أن هذه الدولة قامت تحت اسم "إسرائيل" ولم تقم تحت اسم "اليهود" أو دولة "يهوذا".

وهذا ما يجعل قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾[2]

متوجها إلى تلك الدولة القائمة تحت اسم "إسرائيل" الأمر الذي يجعل من العسير أن تدخل تحت حكم الآية لو أنها اتخذت أي اسم آخر غير هذا الإسم.. وهذا إعجاز من إعجاز القرآن.

فبنو إسرائيل الذين جاءوا لوعد الآخرة، واجتمعوا اليومَ في فلسطين، وأقاموا الدولة الواقعة تحت حكم الله الذي قضى به عليهم يوم يجيء وعد الآخرة –بنو إسرائيل هؤلاء، قد جاءوا من كل أفق من آفاق الأرض مَسُوقين إلى حتْفِهم، مدعوين إلى قدرهم المقدور، في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[3]، أي جمعناكم من كل جهة"[4].

---

(1) التفسير القرآني للقرآن، 3/ 454 – 455.
(2) سورة الإسراء:4.
(3) سورة الإسراء: من الآية104.
(4) التفسير القرآني للقرآن، 3/ 455 – 456.

وعليه، فإن جمع اليهود أو بني إسرائيل مهزوم، وجيشهم مكسور، والدوائر على إخوان القردة تدور، ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

فكيف يكون وعد الآخرة قد مضى؟! وقد ظهر فساد اليهود في البر والبحر، وعتوا عتُواً كبيرا، وأصبحوا يتحكمون في كل صغيرة وكبيرة،ويسيرون العالم، فطبولهم ومزاميرهم وقَيْنَاتهم تصم الآذان وترمي بشررها على الوجوه!!

فلا شك أن سنة الله لهم في الدنيا والآخرة بالمرصاد، في الدنيا تبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب، ويعركهم عرك الأديم، ويدسهم دس الحصيد، فتذهب بهم الذواهب، وتتيه بهم الغياهب، وتخدعهم الكواذب. وفي الآخرة ملائكة غلاظ شداد تغل أيديهم إلى الأعناق، وتلبسهم سرابيل القطران ومُقَطِّعَات النيران، في نار لها كَلَبٌ ولَجَبٌ ولهب ساطع، وقصيف هائل، لا مدة لدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيُقضى.

وعودا على بدء، فإن في عصرنا هذا انتشر اليهود في الأرض "على قلة عددهم انتشارا سياسيا واقتصاديا وثقافيا وإعلاميا وعلميا وتنظيميا في كل بقعة من بقاع الأرض لهم مؤسسات، وخبراء، وأيْدٍ مشاركة، وأصابع محركة، ورأي مسموع.

الأرض التي احتلوها احتلالا واضحا كاملا هي الولايات المتحدة الأمريكية. لكن وجودهم في سائر البقاع وجود ثابت راسخ.

احتلوا من أمريكا[2] الاقتصاد والسياسة والإعلام، واحتلوا العقول والنفوس، واحتلوا الكنيسة والدين النصراني احتلالا مريعا، وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية هي أقوى دولة وأعظمها وأغناها في عصرنا فإن ﴿ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ يكتسب عندنا معنى

(1) سورة القمر: 46.

(2) دعمت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة اليهودية الصهيونية منذ نشأتها لأسباب ثلاثة: "أولها أن حلول مملكة صهيون عقيدة يشارك اليهود فيها البروتستانتيون المنكبون على تلاوة التوراة. وثانيها أن الأرض العربية تتوفر على أكبر حقول النفط في العالم وتحتاج إلى حارس "أمين" يحفظ الكنز ريثما تهب "عاصفة الصحراء". لكن العلة الاقتصادية والعلة الاعتقادية تدعمها علة ثالثة –سياسية هذه المرة– تنبع مباشرة من الأحداث، وتكمن في وجود مجموعة ضغط يهودية في واشنطن يسندها حوالي ستة ملايين من اليهود يملكون الثراء والقوة، ويتمتعون بالنشاط".

كان بعيدا جدا أن يتصوره أسلافنا رحمهم الله. معنى "وعد الآخرة" المواجهة المحتومة بين اليهودية التي جعلها الله تعالى لفيفا في أرض فلسطين، وفي خدمة اليهودية ودولتها الصغيرة الدولة العظمى التي يتحكم في ماليتها وسياستها وعقيدتها اليهود. وعد الآخرة مواجهة واسعة بين أهل الإيمان وأهل الكفر، واليهود بعَدَدِهم وعُدَدِهم أقلُّ وأَذَلُّ من أن يشكلوا جبهة تقارن بأمة الإسلام"[1].

وعد الآخرة مواجهة بين أمة الإسلام وأمة الغدر الملعونة في القرآن، مواجهة بين روح الإسلام وروح الجاهلية.

لهذا وجب أن نعد العدة ونوفر شروط المواجهة، ونتأسى بجهاد سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، حتى نستحق النصر ونكون أهلا له، فمواجهة أخطبوط اليهود – الذين يزيد عددهم في العالم عن ثلاثة عشر مليون نسمة منهم خمسة ملايين ونصف في فلسطين السليبة– واجب محتوم، فهم بقلة عددهم وجبنهم أهون أن يُسهروا أعين أمة تعدادها يقارب مليارا ونصفا. لكن لما كان هذا العدد الضخم غثاء لم يستيقظ من سبات ولما يعتصم بحبل الله المتين، كان التفوق النوعي لليهود الغاصبين وتمكنهم من رؤوس الأموال وامتلاك زمام أكبر "دولة عظمى في العالم" عوامل حاسمة في ترجيح كفتهم إلى الآن.

وهنا نقف وقفة مع تلك الآيات الكريمة من سورة الإسراء التي ابتدأت بها كلامي. أخبرنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه العزيز في بداية سورة الإسراء "بأن لبني إسرائيل مع عباد له سبحانه جولتين يجوس في أولاهما العباد المنسوبون لحضرة الألوهية، المكرمون بتلك النسبة، ديار اليهود. وفي الجولة الآخرة يدخل العباد المصطفون الأخيار المسجد الحرام كما دخلوه أول مرة، ويسوؤون وجوه بني إسرائيل، ويهينون ما يعظمه بنو إسرائيل. وأخبرنا الكتاب المبين في آخر نفس السورة وأولها أن من علامات الجولة الآخرة أن يجمع الله بني إسرائيل من شتاتهم في الأرض وأن يجيء بهم لفيفا لميقات يوم معلوم. وأن تكون ثمرات كرتِهم علينا ومقوماتها قدرتهم المالية حيث أمدهم الله بالأموال التي اكتسبوها بالربا وبمساعدة حلفائهم،وقدرتهم البشرية حيث أمدهم الله بالبنين من الطراز الأول تعوض

(1) سنة الله، ص112 – 113.

نوعيتهم الممتازة ضآلة العدد النسبية، وقدرتهم السياسية والدعائية على حشد العالم ليكون معهم ضدنا. فهم أكثر نفيرا وصديقا وحليفا منا"[1].

هذا وقد شهد منتصف النصف الثاني من القرن العشرين هجرة اليهود إلى فلسطين لفيفا لفيفًا، أي جماعات جماعات، وهو الشيء الذي يؤكد المرحلة الزمنية من جهة، كما تؤكده وتحدده الآية الكريمة: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

وأما فكرة الدولة الألفية وإسرائيل الكبرى التي يتبجح بها اليهود الإسرائيليون فإنهم لن يستطيعوا إلى تحقيقها سبيلا، بل هي مجرد حبل إمهال واستدراج لاستئصالهم من جذورهم وهلاكهم المبين. وما كان الله ليظلمهم ولكن من يزرع الريح يحصد العاصفة، وما ينتظر من غرس السوء هذا إلا زرع الأحقاد وحصد القتاد.

فشتان بين تخمينات اليهود المحرفة الباطلة التي لا يستقر لها قرار، وبين عهود ووعود القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، التي تقضي بزوال دولة بني إسرائيل ومحوها من الوجود على يد عباد الله المجاهدين المحبين الشجعان البواسل. هذا ليستيقن المستيقنون أن إرادة الله فوق كل إرادة، وأن عهوده ووعوده لاتنخرم.

لذا وجب أن ننظر إلى الأحداث بمنظار القرآن، فنحن ننظر إلى الأحداث ونقرأ تاريخنا "منقطعين عن القرآن مع أن قليلا من التروي في القراءة ومن الاستدلال يشرح لنا بآيات الله ميلاد الحركة الصهيونية، واختيارها لفلسطين مهدا لدولتها المرجوة، ثم حلف إنكلترا لها ومساعدتها حتى تمكنت في الأرض، ثم أحداث الاستيطان، وكرة 1948م، ونكسة1967م، وما صحب ذلك وتلاه من هزائم العرب وتنازلاتهم.

أحداث نراها ولا ندرك كنهها، وتاريخ نعيشه دون أن نفقه له معنى غير معنى الهجوم الامبريالي" [3].

(1) سنة الله، ص66.
(2) سورة الإسراء: 104.
(3) محنة العقل المسلم، ياسين، ص117.

ولذلك فإن الذين يركضون وراء سراب "معاهدات السلام" إنما يطلبون المستحيل، إنه لا سلام مع الأفاعي المسمومة، والجراثيم السامة... ولنا في سيدنا رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد سن لأمته الحل الأنجع والسبيل الأقوم لمواجهة أهل الغدر من اليهود، فقد استأصل جذور الفساد وقطع حبال الفتنة وأحقاد القردة من الجزيرة العربية... ويا له من حكم إلهي نفذه على بني قريظة، قطع رؤوسهم وسبى نساءهم وذراريهم ... وهذا هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين... لا بيع الذمم والتنازل عن الحقوق، وخيانة الوطن، والاعتزاز بغير الله، وتوسد عتبة أمريكا، وضياع الوقت في القمم التي تثبط الهمم[1]، والمؤتمرات التي تليها تنازلات والاتفاقات المتوجة بالاجتياحات.

والله جل في علاه ما نعت علو اليهود الموعود بأنه عتو كبير عبثاً بل ليرى عباد الله بتحقيقه قرب البشارة القرآنية الموعودة، وها نحن نرى علوهم وفسادهم رأي العين لا نرتاب فيه.

ولكي نفهم عن الله ونعرف مقاصد كلامه العزيز من قراءة متوازنة كاملة لآياته القرآنية وآياته الكونية على نور سنته المطردة والثابتة في التاريخ، " لا نغض الطرف عن جناح الواقع المنكشف أمامنا ولا ننسى آية من الحق الذي أنزل إلينا.

من آيات الله العظمى في الكون، بالنظر للمسألة التي تهمنا هنا، أن يكون اليهود مدفوعين دفعا قويا إلى الالتفاف والانتظام والإسراع إلى أرض يعتبرونها –عقيدة ثابتة لديهم– أرض الميعاد. وهي أرض ﴿ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ في ديننا وقرآننا.

(1) منذ أمد بعيد والقمم تنعقد واحدة تلو الأخرى، من قمة 1946 في مصر إلى قمة دمشق الشام 2008، إلى القمم الأخرى التي تخللتها، لكن هذه القمم وقراراتها التي لا تسمن ولا تغني من جوع، كانت سوى لقاءات لتبادل التهاني والمتمنيات، بعيدا عن هموم الأمة وأحزانها.... وقد لحق كل هذه القمم فشل ذريع. فمنذ سنوات كثيرة والشعوب المسلمة تعاني من الظلم والطغيان المسلط عليها من طرف حكام العض والجبر، وما زادتها هذه القمم إلا ظلما وجورا...، فكما يقال: "أسد علي وفي المحافل دمية". لن تستطيع أن تفعل شيئا ما دامت هناك أيدي خفية تحركها...وما دامت أحجارا على رقعة الشطرنج.
منذ عام 1948 وحرب 1967 مرورا بـ1973 وصولا إلى عصرنا الحالي، وفلسطيننا السليبة تنتهك حرماتها، وحصار غزة الأبية مستمر... فماذا قدمت لها هذه القمم؟ هل أزاحت الذل والمهانة عن وجهها؟ كلا...، بل كانت سببا في تقديم تنازلات كبيرة...

إن رب العزة جل وعلا أخبرنا في كتابه الكريم أنه سبحانه رتَّب في سنته أن يمهل القوم الكافرين الظالمين، وأن يُملي لهم، وأن يزين لهم سوء عملهم حتى يروه حسنا، وأن يكيد عليهم من حيث يحسبون أنهم يكيدون كيدا لمصلحتهم ومكر الله عز وجل وكيده أمتن"[1].

وتدبيره "المطابق لسنته أن يجد أخلاف اليهود بقايا من أخبار الأنبياء عليهم السلام لم يكتمها أحبارهم الأولون، منها (رؤيا صهيون)[2] والوعد الألفي. لم يكتمها الأحبار لكن حرفوها وأولوها، - وهم وحدهم المصدقون في ملة التلمود- وزخرفوها، وزينوها، وأملاها الجيل على الجيل، وتواصوا بها، واحتضنوها، وأعدوا لاستقبالها العدة. حتى إذا جاء الوقت أخرجهم ربنا العلي القدير من عزلتهم في (جيتوات)[3] الشتات، وجاء بهم لفيفا لوعد الآخرة. وهم يحسبون أنما اجتمعوا لجميل يراد بهم. أمدهم ربنا بالأموال والبنين كما أخبرنا في كتابه فحسبوا أن تلك الإمدادات كرامة وتنعيم"[4].

يقول رب العزة تعالى وتقدس: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[5].

تأتي القدرة الإلهية اليهود من حيث لا يعلمون، وإن كانت دولتهم قد استمرت أزيد من ستين سنة الآن، فإن الله جل وعلا إذا أراد أمرا هيأ له أسبابه، فنجم اليهود إلى أفول، وزهرتهم إلى ذبول، وما ينتظرهم أشد وأنكى. فلكل أجل كتاب، ولكل غيبة إياب.

---

(1) سنة الله، ص138 - 139.

(2) رؤيا صهيون: تقول بأن "مملكة الله الثانية" ستنشأ على جبل صهيون آخر الزمان وتستمر ألف عام". سنة الله، ص127.

(3) سنة الله، ص138 - 139.

(4) جيتوات: حارات اليهود الخاصة، "يسميها الأوربيون "جيتو" ونقول في المغرب "ملاح". فاليهود كان "مسكنهم في كل بقعة سكنوها (الجيتو) عبارة عن مكان قذر تتفشى فيه الأمراض وتتراكم فيه الأزبال. وسبحان الله الذي خصهم بالقذارة الحسية كما خصهم بالقذارة المعنوية". سنة الله، ص104 وص131.

(5) سورة المؤمنون، الآية 56.

فنحن على موعود من الله، والله مُنجز وعده، وناصر جنده، وهازم الأحزاب وحده، فلا شك أن سنة الله تعالى ستمحق اليهود – الذين ارتكسوا في الضلال والعمى، وصدوا عن الحق–، بالمُثُلات وتحتصدهم بالنّقمات. فالشيطان اليوم قد استفَلَّهم وهو غدا متبرىءٌ منهم، ومتخل عنهم.

فلننظر كيف انطوى مكر الله بأعدائه في ثياب النصر والعلو في الأرض والمَنَعة وكثرة الأموال والنفير، وخضوع الدول العظمى لهم، وقوة الحليف والنصير، يقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[1].

واليهود يحسبون أن إقامة دولتهم في الأرض المقدسة، وسيطرتهم على الأخضر واليابس! وإمساكهم بزمام العالم، مضمونة المستقبل الآن. كيف لا؟! وهم يصنعون الصواريخ والقنابل الذرية والأسلحة الفتاكة، والقوى الكبرى تتحرك بتعليماتهم، وخاضعة لأوامرهم... ! ! !

ويخيل للائيكيين من بني جلدتنا، ولكل غافل عن سنة الله الذي أخلد إلى الأرض وباع نفسه بعرض من الدنيا، "أن الدنيا أصبح زمامها في قبضة اليهود وحلفائهم، يمثل الأمريكيون– وهم نصير الصهيونية ونفيرها– الشطر الأرجح في ميزان القوى العالمية، فلا يظهر في أفق الغافلين القريب ولا البعيد ما يبرر أملا في أن ترجح يوما كفة المسلمين عباد الله فيمكن تصور دخولهم إلى المسجد المبارك حوله يجوسون خلال الديار ويقتلون عدو الله وعدوهم وراء الأشجار والأحجار تتنكر لهم وتتظاهر عليهم حتى المخلوقات. كيف أصبح يصح عند الغافلين عن الله أن تتظاهر الأشجار، عدا شجرة الغرقد وهي شجرة اليهود،وتنطق وتميز بين اليهودي وغير اليهودي؟"[2].

هؤلاء الغافلون عن سنة الله قلوبهم عمياء، وآذانهم صماء، وألسنتهم بكماء، لم يستضيئوا بنور سنة الله في خلقه ولم يقدحوا بزناد الحكمة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية، أشباح بلا أرواح، وتجار بلا أرباح، وأيقاظ نوام، وقبور تمشي على الأرض.

(1) سورة الرعد: من الآية11.
(2) سنة الله، ص140.

نجيبهم بأن سنة الله في الكون تدّخر للمرتابين فيما وعد به جل شأنه من وعود دنيوية وأخروية مفاجآت ثم يجزون الجزاء السيئ على ارتيابهم، ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

"إن الذي أخرج اليهود على مدى قرنين من الزمان -يهود (جيتو)- إلى مجال السياسة العالمية حتى أصبحوا نجمها اللامع قادر سبحانه أن يخرج الأمة الموعودة بالعُقبى من ورطتها. من سنته سبحانه أن يفعل ذلك، ومن الحق المُوحى به المنزل إلينا المقروء في كتابه أن يفعل ذلك. بشروط سنته في التاريخ، في إطارها لا خارجه، ولا استثناء منه، ولا روغانا عنه. إلا ما شاء الله جلت عظمته من خصوصيات اختص بها الأمة المرحومة بعد بلاء يصيبها إلى حين بلوغ الكتاب أجله.

إن الذي أخرج يهود خيبر ليوم حشرهم وإجلائهم، وهم كانوا يظنون أن حصونهم مانعتهم من الله، قادر لا يزال على خذلان يهود هذا العصر وحلفائهم، قادر على نصرة أمة الإسلام المستضعفة في الأرض كما نصر محمدا عبدهﷺ وصحابته ﷺ. من حضيض الجاهلية رفع سبحانه الإيمان والجهاد أولئك الأعزة، من تشتت قبلي وجهالة وفوضى رفعهم حتى تفوقوا في زمن مطوِي لهم على أعتى وأقوى دول ذلك الزمان"[2]. وإن "صنع الملك الحق سبحانه الاستعداد في من يريد لهم حمل أمانته سنة من سننه" [3].

وإنا نعتقد أن عهود الله ثابتة، ووعوده آتية، فإنه عز وجل وعدنا بإظهار هذا الدين في العالمين، ووعدنا بأنه يمهل الكافرين المستكبرين المعتدين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، ووعدنا أن اليهود مهما طغوا وتجبروا وأفسدوا فإن موعدهم "وعد الآخرة" الذي يبعث الله عليهم عبادا له أولي بأس شديد، يخربون بيوتهم، ويشتتون جمعهم، ويطفئون شعلة غضبهم وحقدهم، وعدنا ربنا تقدس وعلا بكل هذا وأكثر من هذا، بشرط أن نكون عبادا له سبحانه كما أمر، ونغير ما بأنفسنا حتى يغير ما بنا، ونتمسك بكتابه وسنة نبيه كما تمسك

(1) سورة الزمر، الآية 67.
(2) سنة الله، ص141.
(3) سنة الله، ص160.

ذلك الجيل القرآني والنموذج الخالد جيل الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، ونحترم سنته وناموسه والأسباب الموضوعة في الكون كما احترمها من سبقنا بالجهاد والإيمان، لا يصدنا عن محبتنا وعن غايتنا الاستخلافية والإحسانية قول معاند، ولا شك مرتاب، بل نمضي لأمرنا، كما مضى الأنبياء والمرسلون والصحابة ومن تبعهم بإحسان.

فالله عز وجل قادر أن يزلزل الأرض بمن شاء، ويخسف بمن شاء، ويهلك من شاء، كل هذا من سنته جل وعلا، فعل ذلك بكثير من الأمم الغابرة التي أفسدت وطغت وتجبرت في الأرض.

فواجبنا نحو البشائر الربانية والنبوية أن نعد لها العدة كما أمرنا الله تعالى ونسير وفق سنته في الكون، "ولا نخرج من حسابنا فعله سبحانه الذي لا يتقيد، ويأتي سبحانه وتعالى أعداءه من حيث لا يحتسبون.

من كان يحسب بمنطق التاريخ أن فلول اليهود في (جيتوات) العالم مشتتين تكون لهم الكائنة هذه الكائنة الباهرة في أقل من قرنين. وفي نفس المدة تَنْقَهر وتندثر الدولة العثمانية شوكة الإسلام المجيدة، وتنسى وتصبح أثرا بعد عين" [1].

وهنا حقيقة لابد من ذكرها - تزيد لتصورنا لوعد الآخرة تأكيدا، قال الحاخام "ديفد وايز":" وهذه الدولة -يقصد إسرائيل- سوف تنتهي لأنها عبارة عن عمل تمرد ضد ما حرمه الله وحظره، ممنوع لليهود أن يقيموا دولة بسبب خطيآتنا ونقصنا وعيوبنا الروحية لذلك قال لنا الله أنتم كشعب سوف تعيشون في المنفى باعتبارها عقوبة عليكم من الله.

ونحن نعلم أن إرادة الله هي الحاكمة والله خلق من نسميه الشيطان فنحن نؤمن بالله، لأن هذا هو عمل الشيطان لأن إقامة دولة إسرائيل والمصادقة عليها من قبل الأمم المتحدة هو من عمل الشيطان لأن هذا اغتصب حق الشعب الفلسطيني"[2].

---

(1) سنة الله، ص141 - 142.

(2) (ناطوري كارتا ومستقبل إسرائيل) حلقة من برنامج بلا حدود(يعده ويقدمه:أحمد منصور)، الذي بثته قناة الجزيرة القطرية بتاريخ: 30 نيسان (أبريل) 2008م.

هذا، وأقر الحاخام "إسرائيل هيرش" الأب الروحي لحركة "ناطوري كارتا" اليهودية في حديث له نقلته عنه مجموعة من القنوات والصحف[1] والشبكات العنكبوتية بقرب زوال إسرائيل في المرحلة القريبة المقبلة.

وقال بأن كتب التوراة المقدسة لدى اليهود تتضمن نصوصا واضحة وصريحة تشير إلى أن دولة الكيان الصهيوني ستنهار وتزول عن الوجود وتختفي في غضون سنوات قليلة.

كما أوضح هيرش وقال: "لدينا علامات ونبوءات تظهر قرب انتهاء دولة إسرائيل وأن هذه النهاية ستكون قريبة". وعبر "الحاخام هيرش" الذي يقيم في مدينة القدس المحتلة عن استنكاره للمجازر التي تقوم بها سلطات الصهاينة ضد سكان فلسطين وقال: "إن جرائم الصهاينة ستجر عليهم الغضب الرباني في فترة قريبة" اهـ.

تلك سنة الله سبحانه وتعالى في استدراج الظالمين المستكبرين وإمهالهم ثم إهلاكهم، أن يُقيض لهم شياطين من الجن والإنس، وأن يسلط بعضهم على بعض.

جاء اليهود المعتدون لموعد الآخرة لفيفا "بمقتضى قانون إلهي من صميم سنته تعالى، لكن لا يبصره من عشا عن ذكر الرحمان. صدقوا التَّنبُؤ الألفي، وسادوا على ضوئه. فإن كانت ثمة نبوءة في الموضوع فهي أثارة من علم حرفها الأحبار. وإن كان حرفها الأحبار فعملهم شيطنة. والشيطنة شأن خسيس يكل الله عزت قدرته دوره لمن غضب عليهم وأضلهم وأعماهم"[2]، ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[3]، ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[4].

وهكذا،فإن أمر هذه الأمة في أولها صلح بالقرآن وبهدي القرآن وبالسير على منهاج النبي العدنان، ولن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها، لابد من العودة إلى القرآن،

(1) انظر مثلا: جريدة الرياض السعودية: (الخميس 3 ربيع الأول 1428هـ – 22 مارس 2007م – العدد 14150).
(2) سنة الله، ص141 – 142.
(3) سورة الزخرف، الآية:36.
(4) سورة فصلت، الآية:25.

وتفسير كل حدث بمنظار القرآن حتى نكون بحق أمة القرآن، كما كان حبيبنا المصطفىﷺ قرآنا يمشي على الأرض.

وقرآننا يعلمنا أن النصر لمن يقاتل في سبيل الله وينصر دين الله، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾[2].

هذا لتدرك الأمة المسلمة "تماما أن تفوق اليهود سيظل (مهمازا) يغرس في لحوم الشاردين، حتى يؤوبوا إلى القرآن العظيم شرعة ومنهاجا، وحينئذ يعود اليهودي -بإذن الله- إلى طبعه وحجمه، ويعوذ بحصونه وجحوره، ويرتد إلى كيان يجسد كل أوصاف القرآن له، ويبطل السحر والساحر، وحتى يأتي -في نهاية المطاف- وعد الحق فلا ينفع اليهودي في الأرض شيء، ولا يجنه حصن ولا حجر، ولا يحميه سلاح ولا شجر"[3].

وعليه، فتحت ظلال (من قاتل لتكون كلمة الله العليا)[4]، يجب أن يكون إعدادنا ونيتنا لمواجهة اليهود، لنكون في مستوى ﴿ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ووفق مقتضى سنة الله، نصرة لدين الله، وذودا عن حمى الإسلام.

أما إذا واجهنا "حميتهم الجاهلية بحمية قومية، وواجهنا ظنهم التلمودي وهم به متشبثون بظن فكر العصر وثقافته، وواجهنا سفالتهم بنخوة بشرية"[5]، فإننا لا ننتظر نصرا أبدا حتى يلج الجمل في سم الخياط.

هذا ليوقن الدعاة على أبواب جهنم أنهم لن يروا نصرا على اليهود ما داموا ينبشون قبور الفتن، ويصرون على ألقاب الضلالة، من لائيكية، وقومية، وشيوعية، وحمية الجاهلية.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 218.

(2) سورة محمد، الآية: 7.

(3) معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبد الفتاح فتح الله سعيد، ص210.

(4) كما جاء في الحديث، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). صحيح البخاري، كتاب الجهاد، بَاب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح2810. وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ح 1904.

(5) سنة الله، ص144.

إن هذا الزخم كله هو زرع الشيطان، ونبت الكفار، وهم الذين يوسعون ذلك الشرخ في جسد الأمة المستضعفة، ويحجبون عنها نصر الله ﷻ، ويمدون في حبال اليهود الصهاينة وحمايتهم وكأنهم (شجر الغرقد) الذي يحبه اليهود!!

هكذا فلن نكون في المستوى المطلوب والمقتضى المرغوب حتى نحمل في قلوبنا وعقولنا وكياننا وأخلاقنا القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة، و يكون غضبنا خالصا لوجه الله تعالى[1]، وارتفعنا عن كل السفالات لعزة الإسلام، وتربينا تربية إيمانية صحيحة سنية قرآنية في محضن المحبة، فآنئذ يمدنا ربنا عز وجل بمدد من عنده، ويجعل العاقبة لنا، وتحقيق وعد الآخرة على أيدينا.

فوعد الآخرة حدث عظيم ضخم ينتظره عباد الله المؤمنون، فهو ليس معركة جزئية أو جانبية أو "قضية شرق أوسطية" كما يظن بعض من العرب المكبوتين المستسلمين للأوضاع المزرية، الراكضين وراء سراب أحلام "معاهدات السلام"، إنها قضية الإسلام الكبرى، وما فلسطين البلاء إلا مقدمة من مقدمات وعد الآخرة.

والله جل وعلا قد جمع اليهود لفيفا في فلسطين بعدما أدوا دورهم الشيطاني في إفساد الأرض، وقد أسست الإرادة الإلهية قواعد الإسلام[2] في الأرض ليحقق الله وعده بظهور دينه وإحقاق الحق، وإزهاق الباطل بعالمية الجهاد [3]، إذ أن وعد

(1) الغضب لله يقتضي تطهير عقولنا ونفوسنا وعاداتنا وأخلاقنا وأنظمة حكمنا من الجاهلية ومخلفاتها لنعيد التركيبة على منهاج النبوة، الذي منه نستلهم العبرة والقدوة والمثال.

(2) أقصد بقواعد الإسلام تلك الأعداد الهائلة المكثفة المنبثة في قارات الأرض التي يمكن أن تحمل مشروع إحياء الدين وراية الجهاد في سبيل الله من أجل تحرير رقاب المستضعفين في الأرض وتوحيد صفهم، شريطة أن تخضع تلك الأعداد المكثفة للتربية على دعائم الإسلام الخمسة وقواعده وشعب الإيمان البضع والسبعين ومدارج التربية الإحسانية السلوكية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ وأن تنتظم على كلمة وفهم وقيادة ورابطة محبة قلبية قوية، لتكون لها فاعليتها في التغيير، فتكون بذلك مؤهلة للوراثة والاستخلاف.
وبمعنى آخر، فقواعد الإسلام هي تلك الدعائم والمرتكزات الأرضية الجغرافية السياسية، والمقومات الاقتصادية، والوجود العددي البشري الذي عليه بعد الله ﷻ- وفق سنة الأسباب- تعول القوة الإسلامية الاقتحامية في سبيلها إلى النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض.

(3) أقصد بعالمية الجهاد أن تعم الروحانية الجهادية الأمة، وتسير سيرها في النفس، حتى تتحرر النفوس من داء الأمم، وتتحرر الأمة من الجاهليات الجاثمة على صدرها.

الآخرة بشارة لهذه الأمة المحمدية الشاهدة على الأمم، وأذان من الله تبارك وتعالى لها يوم تصبح أمة عباد الله أولي بأس شديد ماديا ومعنويا خالية من كل شرك بارئة من داء الأمم[1] الذي مزق كيانها شر ممزق.

فهجرة اليهود المستمرة نحو فلسطين، واستيطانهم القادم على قدم وساق، وتجمعهم من شرق الأرض وغربها، كل ذلك يهيئهم لتتحقق فيهم سنة الله التي تجمعهم لفيفا في أرض المحشر، أرض ﴿وعد الآخرة﴾، حينئذ ﴿... وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[2].

ولاستقبال الموعود الإلهي ﴿وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ يجب أن نوفر له شروطه، فقبل أن يفي لنا الحجر والشجر ويحوننا شجر الغرقد ينبغي أن نبدل روح الجاهلية -أي اليهود- بروح الجهاد، ينبغي أن نعد العدة الكاملة، الروحية والتنظيمية المتحزبة لله لتحرر الأمة من حكم الجاهلية حتى يلم شملها ويتوحد صفها على الحب في الله والأخوة في الله والولاية في الله والجهاد في سبيل الله لا على "حمية الجاهلية" و"النُّعَرَة القبلية" و"القومية المشتتة"، ينبغي أن تسود الأمة أخلاق الطهارة والنقاء والتوجه لله ﷻ والدار الآخرة لا ثقافة العهر والفجور و"تبرج الجاهلية". ينبغي أن يكون إيمان هذه الأمة المسلمة المستضعفة بالله وبركاته السماوية متناسقا مع إيمانها بأسبابه الكونية وبسنته المطردة، منفتحا -ببصائر القلوب- على الغيب والآخرة خارقاً للعالم الحسي.

بهذا نكون رحمة في الأرض وبلسما وإكسيرا يشفي النفوس المتعطشة إلى نور الإسلام، ويرفع الكرب عن المكروبين، ويرجع العزة للمستضعفين. وجحيما يحرق شوك اليهودية والصهيونية العالمية، ويستأصله من جذوره، إنه "وعد الآخرة" الذي بشرنا به كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ.

إن هذا كله يوضح لنا أن الحنين إلى استعادة النموذج النبوي سيبقى حلما معسولا إن لم تكن نيتنا الجهادية في سبيل الله وحبنا في الله ولله وتربيتنا على نور منهاج رسول الله ﷺ.

(1) داء الأمم: حب الدنيا وكراهية الموت، وهو أصل الداء.
(2) سورة الشعراء: من الآية227.

فهل يستوي ما وعدنا الله به ورسوله ﷺ بما تبشر به الصهيونية العالمية الحاقدة؟ ومتى يكون المؤمنون أهلا لسنة ﴿وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾، بإزالة الكيان اليهودي والقضاء على إفسادهم وعلوهم الثاني وهو الأخير؟

نرجو من العلي القدير تعالى وتقدس أن يرفع عموم الأمة بالإعداد البعيد المدى إلى استحقاق ﴿وعد الآخرة﴾ إنه قريب مجيب. وصدق الله: ﴿...لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[1].

﴿... وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

الخاتمة

تلكم إذن هي سنة الله في اليهود، و"وعد الآخرة" والانتصار على اليهود وانتشار نور الإسلام في العالمين هو مستقبل الأمة الموعود.

ولذلك فإنا لا نعدم حلا طالما قرأنا واقعنا بمنظار السنن الإلهية، وسرنا على سكتها وأخذنا بدروسها وعبرها.

وأما عن حصيلة هذا الكتاب فيمكن رسم معالمه عبر النقاط الآتية:

1 – اليهود قاسية قلوبهم وهم أصل كل مصيبة وحرب وعداوة وحقد وبغضاء.

2 – من سنن الله في اليهود الجزاء من جنس العمل، وقد تحققت في غزوة بني قريظة؛ حيث استأصل المسلمون جذور دسائسهم وغدرهم وخيانتهم ومكائدهم، وقطعوا رءوس أهل البغي منهم.

3 – اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا: فمنذ بعث الله نبيه الكريم بالهدى ودين الحق وظلام اليهود يتربص بنور الإسلام، وقد استكن في صدره كل حقد وضغينة، وما

(1) سورة الروم: 4 – 5.
(2) سورة يوسف: من الآية 21.

استطاع إلا أن يخفت الشعاع!! فليس في مقدور ظلامهم أن يمحو نور الحق المبين، كما ليس في طاقة الفم أن يطفئ نور شمس السماء.

4 – تحقق وعد الله بالإفساد اليهودي الأول "وعد أولاهما": زمن النبي لما جاس المسلمون خلال ديار خيبر وأخرجوا اليهود منها أذلة صاغرين خاسئين خاسرين، وتحقق في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما طهَّر الجزيرة العربية من رجسهم وفسادهم.

5 – قرب تحقق "وعد الآخرة": وهذا وعد إلهي وبشارة عظيمة بأن نهاية اليهود الصهاينة تعيسة، وعاقبتهم وخيمة، حيث سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب ويطهر القدس الشريف وفلسطين المباركة من روح الجاهلية وبؤرة الفتنة وأصل البلاء من اليهود الغاصبين.

وهذا ليس وديعة أحلام ولا رجما بالغيب، ولكنها سنة الله ماضية لا تتخلف كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة، وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان.

﴿... إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ (هود).

اللهم مكن لأمتنا المستضعفة واستخلفها وانصرها وأعد لها عزتها وكرامتها وارحمها يا الله يا رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	3
دعاء	7
تقديم	9
مقدمة	11
المبحث الأول: القاسية قلوبهم	13
المبحث الثاني: شدة عداوة اليهود للمؤمنين	43
المبحث الثالث: سنة الجزاء من جنس العمل في معاقبة اليهود	61
المبحث الرابع: وعد الله بالإفساد اليهودي الأول	75
المبحث الخامس: وعد الآخرة	93
الخاتمة	119
فهرس الموضوعات	121

إصدارات حديثة للمؤلف

الأستاذ الدكتور/ أبو اليسر رشيد كهوس

الأستاذ بكلية أصول الدين بتطوان ـ جامعة القرويين

- نحو قراءة جديدة للسيرة النبوية:

  سنة الله في جهاد سيدنا رسول الله ﷺ.
- إتحاف العباد بحقيقة الجهاد.
- العبر من سيرة خير البشر ﷺ.
- مختصر تواريخ الأحداث المشهورة في السيرة النبوية.
- تنشئة الطفل المسلم.